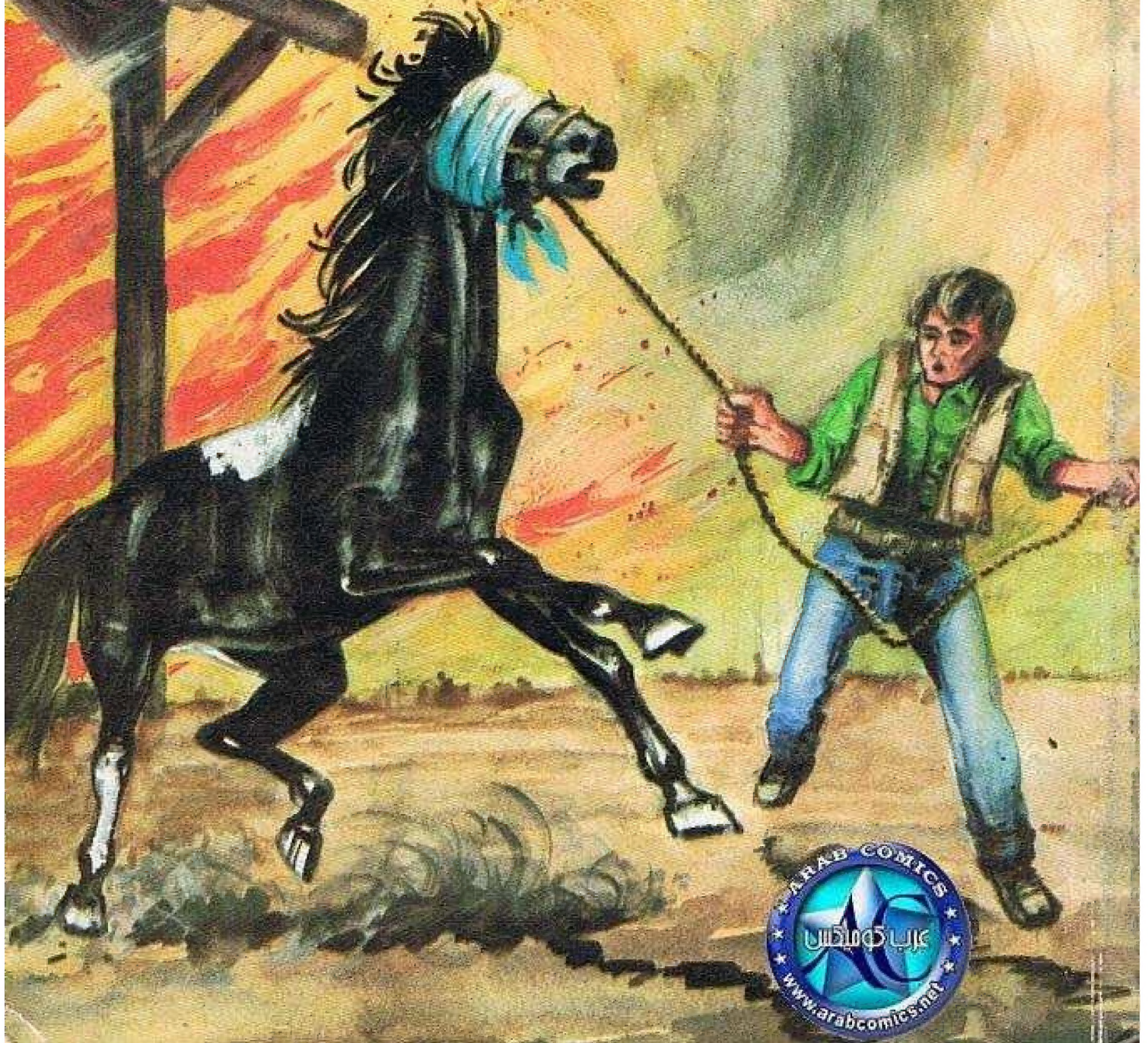
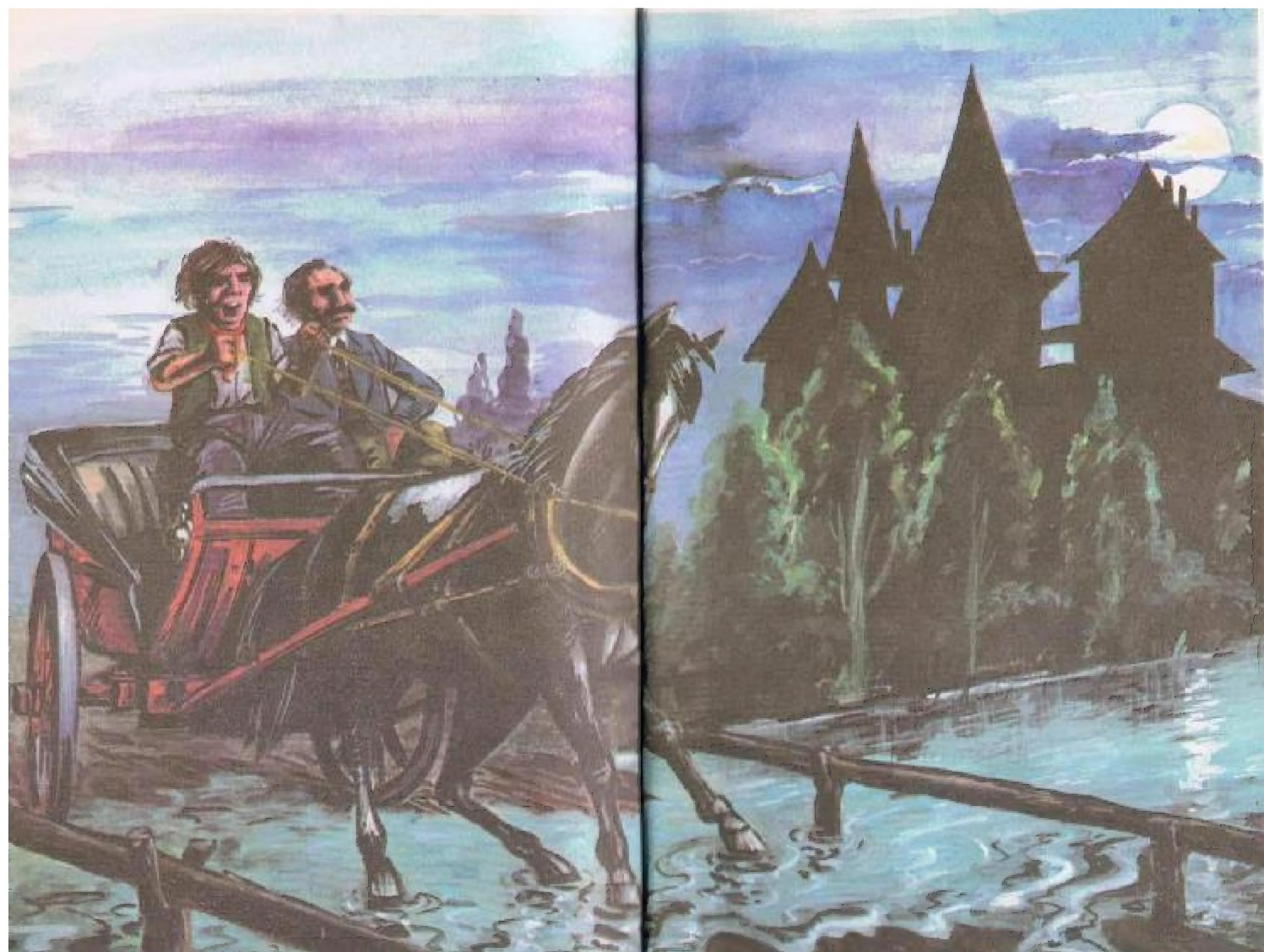


الجوارح الأسود السبع

الأسبوع
الحكايات اللطيفة





الجوَادُ الْأَسْوَدُ الرَّسْمَاءُ



تأليف : أنا سيول
إعداد : اللواء السيد أبو مسلم
رسم : نسيم ج. نصيف

مكتبة لبنان
بيروت

© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان

١٠ شارع حسين واصف ، ميدان المساحة ، الدقي - الجيزة
جميع الحقوق محفوظة : لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب ، أو تخزينه
أو تسجيله بأية وسيلة ، أو تصويره دون موافقة خطية من الناشر .

الطبعة الثانية
رقم الإيداع : ٢٣٠٦ / ٨٨
الترقيم الدولي : ٩٧٧-١٤٤٥-٦٤-٢ ISBN

طبع بمطابع دار المعارف - القاهرة

الفصل الأول

أمي

لا أعي الكثير عن تلك الفترة التي كنت فيها صغيراً، ولكنني أذكر حقلاً
مُتسِعاً غنياً بالعشب الأخضر به قليل من الأشجار. وأذكر أن أمي كانت
تقف تحت إحدى هذه الأشجار في الأيام الحارة، وأقف أنا أَرْضَعُ من
لَبِها، وذلك قبل أن أَكْثَرَ وأبدأ أَرْعى العشب والحشائش.



كان بالحقل عددٌ آخر من الجياد الصغيرة. كنا نلعب معاً هنا وهناك في
أرجاء الحقل، وَتَرْتَعُ وَتَمْرُغُ في العشب، وَتَرْفُسُ بِأَقْدَامِنَا في الهواء في
مَرَجٍ وسعادة. كنا نَسْتَمِيعُ بالحياة، وَكَمْ كانت الحياة جميلة في غيورتنا في
ذلك الوقت.

عندما بلغت مرحلة الألفطام، بدأت أمي تتوجّه لِلْعَمَلِ كُلَّ يَوْمٍ، وعندما
عُودَتْها في المساء كُنْتُ أَقْصُ عَنْهَا كُلَّ مَا حَدَّثَ لِي طَوَالَ الْيَوْمِ، وَكَانَتْ
تَقُولُ لِي:

«كَمْ أَنَا مُسْرُورَةٌ لِأَنَّكَ سَعِيدٌ. الْعَبْ قَدْزَ مَا تَسْتَطِيعُ وَلَكِنْ تَذْكُرُ دَائِمًا
أَنَّكَ كُنْتَ كَعَمَلِكَ مِنَ الْأَمْهَارِ. فَسَوْفَ تُصْبِحُ هِيَ بَعْدَ ذَلِكَ جَيَادًا تَعْمَلُ
بِالْمَرْوَعَةِ، لِأَنَّهَا لَبَسَتْ جَيَادًا مُصِيلَةً. أَمَّا أَنْتَ، فَأَيُّوكَ جَوَادٌ مَعْرُوفٌ
لِلْجَمِيعِ فِي كُلِّ خَرْجٍ مِنْ أَجْزَاءِ هَذِهِ الْبِلَادِ. كَمَا أَنَّ جَدَّكَ — أَعْنِي وَالِدِي —
كَانَ أَفْضَلَ جَيَادٍ صَاحِبِ الْمَرْوَعَةِ. وَعِنْدَمَا تَكْبُرُ قَلِيلًا سَوْفَ تَعْلَمُ كَيْفَ
تُحْمِلُ النَّاسَ عَلَى ظَهْرِكَ، وَكَيْفَ تُقْلَهُمْ مِنْ مَكَانٍ لِأَخَرٍ وَأَنْتَ تُجِيرُ
عَرَبَتَهُمْ.»

سَأَلْتُهَا: «وَهَلْ هَذَا هُوَ عَمَلُكَ يَا أُمِّي؟ هَلْ هَذَا هُوَ مَا تُقِيمِينَ بِهِ مِنْ
عَمَلٍ لِفَارْمَرِ غَرَاي؟»

أَجَابَتْ: «نَعَمْ هَذَا هُوَ مَا أَعْمَلُهُ. فَالْسَيِّدُ فَارْمَرِ غَرَاي يَرْكَبُنِي أحيانًا،
وَأحيانًا أُخَرَى أُخَرُ عَرَبَتَهُ، هَاهُوَ ذَا قَدْ حَضَرَ.»

وَصَلَّ فَلَزِمَ غَرَايَ إِلَى الْحَقْلِ. وَكَانَ رَجُلًا مَلِكِيًّا يُحِبُّ أُمِّي حُبًّا شَدِيدًا
قَالَ لَهَا :

« حَسَنًا يَا ابْنَتِي الْحَمِيلَةُ الْغَرِيرَةُ ، لَقَدْ أَحْضَرْتُ لَكَ طَعَامًا لَذِيذًا لِتَأْكُلِيهِ .
كَيْفَ حَالُ صَغِيرِكِ ؟ » ثُمَّ رَبَّتْ عَلَى ظَهْرِي وَأَعْطَانِي كِسْرَةً لُحْمِيَّةً ، وَكَانَ
لُحْمًا لَذِيذًا طَعْمُهُ .

لَمْ تَسْتَطِيعْ أَنْ تَرُدَّ عَلَى أَسْئَلِيهِ ، وَلَكِنْ أُمِّي غَبِثَتْ لَهُ عَنْ حُبِّهَا بِالصَّبْرِ ،
فَرَبَّتْ عَلَى ظَهْرِي ، وَانْصَرَفَ .

قَالَتْ لِي أُمِّي : « إِنَّهُ رَجُلٌ غَطُوفٌ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ كَيْفَ تَرْضِيهِ .
عَلَيْكَ أَنْ تُؤَدِّيَ عَمَلَكَ دَائِمًا بِكُلِّ سَعَادَةٍ ، وَلَا تُلْجَأَ إِلَى الْقَضِ أَوْ الرِّفْسِ ،
حَتَّى يَغْلُلَ دَائِمًا لَطِيفًا مَعَكَ . »

الفصل الثاني التَّعَلُّمُ

كَثُرَتْ قَلِيلًا ، وَكَانَ شَعْرِي أَسْوَدَ جَمِيلًا ، وَكَانَتْ إِخْدَى قَوَائِمِي
بَيْضَاءَ ، وَكَانَتْ لِي غُرَّةٌ ، وَعَلَامَةٌ بَيْضَاءُ فَوْقَ ظَهْرِي . أَمَّا سَائِرُ جَنْبِي
فَكَانَ أَسْوَدَ .

عِنْدَمَا اكْتَمَلَ نُمُوءِي قَدِمَ السَّيِّدُ غُورْدُونُ مِنَ الْمَزْرَعَةِ الْمُجَاوِرَةِ لَنَا ،
وَنَظَرَ إِلَيَّ ، ثُمَّ فَحَصَ عَيْنَيَّ وَأَسْنَانِي وَقَوَائِمِي ، وَقَالَ :

« حَسَنٌ جَدًّا . يَجِبُ الْآنَ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَعْمَلُ ، وَسَيَكُونُ مُنْتَازًا . »
مَاذَا يَجِبُ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْجَوَادُ ؟

عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَقِفُ سَاكِئًا عِنْدَمَا يُرَكَّبُ عَلَيْهِ طَقْمُ الْفَرَسِ وَسَيُورُ
اللِّجَامَ . وَأَسْتَوًّا أَجْزَاءَ اللِّجَامِ هِيَ الشُّكِيمَةُ . وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَدِيدِ الْبَارِدِ
تُرَكَّبُ فِي فَمِ الْجِصَانِ ، وَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْرِفَ مَا تُسَيِّبُهُ مِنْ ضَيْقٍ إِنْ لَمْ
يُخَرِّبْهَا . وَلَا يَسْتَطِيعُ الْجَوَادُ الْخُلُوصَ مِنْ تِلْكَ الشُّكِيمَةِ ، لِأَنَّ اللِّجَامَ يُحِيطُ
بِرَأْسِ الْجِصَانِ مِنْ أَعْلَى وَتَحْتَ الْقِمِّ وَحَوْلَ الْأُذُنِ .

كُنْتُ أَشْفَرُ بِالْإِسْنَاءِ مِنْ هَذِهِ الشُّكِيمَةِ . وَبِاسْتِثْنَاءِ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ فَلَزِمَ
غَرَايَ رَجُلًا مَلِكِيًّا غَطُوفًا . أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَكُنْ أُرْفَسُ أَوْ أَعْصُ . وَكَانَتْ لِأُمِّي
أَيْضًا شُكِيمَتُهَا الَّتِي تُرَكَّبُ فِي فَمِهَا أَثْنَاءَ عَمَلِهَا ، كَمَا كَانَ لِكُلِّ جَوَادٍ
شُكِيمَتُهُ . لَقَدْ كُنْتُ أَعْرِفُ ذَلِكَ ، وَلِهَذَا فَإِنِّي كُنْتُ أَقِفُ سَاكِئًا بِرُكْبِهَا

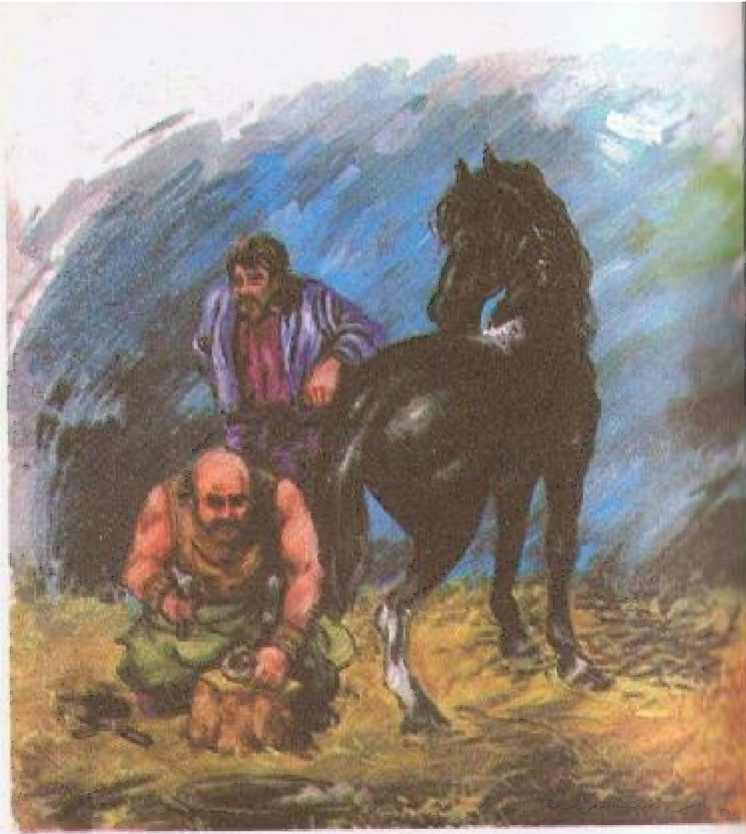
في فيمي . وبعد مضي وقت قصير لم تعد الشكيمة تضايقتي كثيرا .

لما السرج فلم يكن شيقا بالغ السوء . فعلى كل جواد أن يتعلم كيف يقبل السرج على ظهره ، وكيف يحيل الناس على ظهره سواء أكانوا رجالا أم نساء أم أطفالا . وعليه أن يتحلى حينئذ بوجهه صاحبه . ويجب عليه أن يتعلم كيف يسير وكيف يركض وكيف يعدو عدوا سريعا .

كانوا يركبون الشكيمة في فيمي ، ويضعون السرج على ظهره في كل يوم . وكان فازمر غراي يتولى بنفسه السير بي في الحقل الكبير ، ثم يعطيني بعد ذلك بعض الطعام ، ويؤث على ظهره ويتحدث إلي . كان غطونا معي ، وكنت أحب الطعام وأحب التزييت على ظهره ، كما كنت أحب كلامه الرقيقة . وبعد وقت قصير لم أعد أخاف الشكيمة أو السرج .

ذات يوم اعتلى فازمر غراي ظهره ، وجلس على السرج . وفي اليوم التالي ركبني وسار بي في أرض الحقل . ولم يكن يعجبني أن يركب أحد على ظهره ، لكنني كنت مسرورا أن الذي على ظهره هو سيدي العظوف . واستمر بعض الوقت يركبني ويسير بي في الحقل كل يوم .

وكان الشيء الآخر الذي هو تركيب الثعل (الخلوة) ، وكنت خائفا . تناول الرجل الذي يتولى تركيب الثعل قوانيني واحدة بعد الأخرى . فقام أولا بإزالة بعض الأجزاء الصلبة من حافري . ولكن ذلك لم يؤلمني ، لهذا وقفت ساكنا متركزا على ثلاث قوائم على حين كان الرجل يعمل في كل حافر من حوافري على حدة .



وأخيرا ركب الرجل ثعلا حديديا في كل قائمة من قوائمي الأربع ، ولم أجد في ذلك ما يؤلمني ، ولكنني لم أستطيع أن أحرك قوائمي بنفس السهولة

التي كنت أحرّكها بها من قبل . إلا أنني اعتدْتُ بعد ذلك عليها ، فضلاً عن أنها كانت تحمي قوايمي من الأشجار ومن عُورة الطريق .

تعلّمتُ بعد ذلك كيف أسير بطقم جرّ العربات . وهو سرّج صغير وضع على ظهري ، وطلوق كبير رُكِبَ حول رقبتي ، وِعِمامتان يُتَنان على جانبيّ وجهي حالاً دون أن أرى شيئاً بجاني ، فلم أرَ إلا ما كان أمامي مباشرة .

بدأ فازمر غراي يَجمَلُنِي أحرّ العربّة مع أُمّي ، وكان يقول لي وهو يضع طقم الحَرّ عليّ : « إنك ستوف تتعلّم منها الكثير . » وبالفعل تعلّمتُ من أُمّي الكثير . فقد علّمتني كيف أتحرك وكيف أدير ما يريده السائق مِنّي ، ولكنّها قالت لي أيضاً :

« هناك من يُعيدون قيادة العربات ، ومن لا يُحسِنون قيادتها . وهناك أيضاً سادة طيّون وآخرون قساة . فالسيد فازمر غراي سيُد طيّب إلى أقصى مدى . إنه إنسان عطوف يُفكر في أمر حياديه . وهناك رجال أشرار وقساة ، بل وأغبياء . فعليك دائماً أن تكون جواداً ممتازاً ، ويجب أن تجعل الناس يُحبُّونك . ولا تُكنّ كسولاً ، حتّى لو كان الناس قساة أو كانوا أغبياء في تعاملهم معك . »

الفصل الثالث

مزرعة السيد غوردون

في شهر مايو قَدِمَ رَجُلٌ ليُصَلِّحَنِي إلى مزرعة السيد غوردون ، فقال لي فازمر غراي :

« كُنْ جواداً ممتازاً ، وأبذل أقصى جهديك . » ولم أستطع أن أقول شيئاً ، فوضعتُ أُنْفِي في راحة يَدِهِ ، قرّبتُ عليّ في رفق .

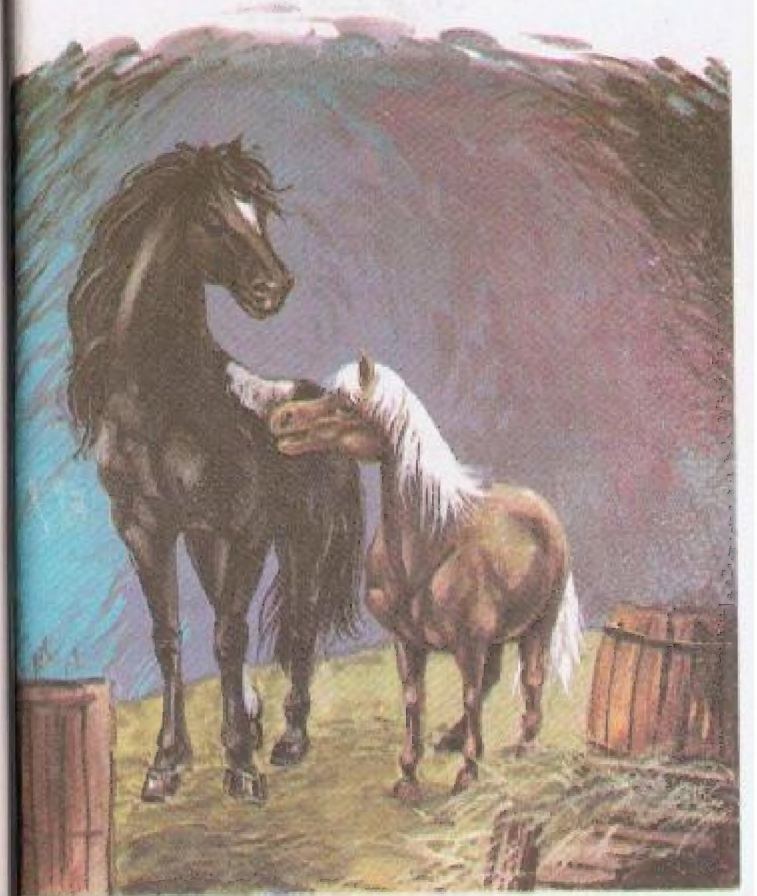
كانت مزرعة السيد غوردون واسعة ، وبها عَنولٌ كبير ، وعَدَدٌ من حظائر الخيل ، وسقائف للعربات . وهناك أُجِدتُ إلى حظيرة بها أربعة جِبادٍ .

بعد أن تناولتُ ماقدّم لي من طعام نظّرتُ حولي ، فشاهدتُ - في رُكنٍ من أركانِ الحظيرة - جواداً قصيراً ، ممثليّ الجسم ، ذراعُ رأسٍ صغير وعَينَتان مُتألفتان . فسألته : « من أنت ؟ »

أجاب قائلاً : « اسمي مريغلز وأنا جميل جداً ، وأُحِبُّ الفتيات الصغيرات على ظهري . والجميع يُحبُّونني ، وعليّك أن تكون جواداً لطيفاً إذا كنت ستعيش إلى جوارِي ، فانا لا أُحِبُّ الجِباد التي تُعضُّ . »

نظّرتُ قَرَساً إلى مريغلز من رُكنٍ آخر ، وكانت قَرَساً ذات شعر بنيّ ضاربٍ إلى الحمرة جميل ، ولكن عَينَيها كانتا قبيضان بالغضب . وكانت كلما غَضِبَتْ لَزِجَتْ أذُنَيها إلى الخلف ، شأن كُلِّ الجِبادِ عندما تُغضب .

وَسَأَلَتِ الْفَرَسُ فِي غَضَبٍ : « هَلْ سَتَقِ أَنْ عَضَضْتُكَ ؟ »
أَجَابَ مِرْيَلُغُ بِسُرْعَةٍ : « لَا يَا جَنَحَرُ ! لَمْ يَحْدُثْ هَذَا . »



بِئْسَمَا خَرَجَتِ الْفَرَسُ جَنَحَرَ لِلْعَمَلِ بَعْدَ الظُّهْرِ ، قَالَ لِي مِرْيَلُغُ عَنْهَا :
« إِنَّ جَنَحَرَ تَعَصُّ فِعْلًا ، نَلَّ إِنَّهَا عَضَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ ذِرَاعَ جِيَمَسَ وَالْمَنَّةَ
كَلِمَةً ، وَتَخَشَّاهَا فَلَوْرًا وَجِيَسِي ، ابْنَتَا السَّيِّدِ غُورْدُونَ . وَلَا تَأْتِيَانِ لَنَا بِشَيْءٍ
لَا كُلَّهُ يَسْتَبِ وَجُودِ جَنَحَرَ هُنَا . »

سَأَلَتْهُ : « وَلِمَاذَا تَعَصُّ ؟ هَلْ هِيَ شَرِيرَةٌ ؟ »

أَجَابَ : « لَا ! وَلَكِنِّي أَظُنُّ أَنَّهَا لَمْ تُكُنْ سَعِيدَةً . وَكَثِيرًا مَا سَمِعْتُ أَنَّهَا
لَمْ تَمْتَنِعْ بِعَقْلٍ أَحَدٍ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَى هُنَا . وَلَكِنَّهَا سَرَفَتْ تَغْيِيرَ أُنْثَاءَ وَجُودِهَا
هُنَا ، إِنِّي أَتْلُعُ مِنَ الْعَمْرِ اثْنَيْ عَشَرَ عَامًا ، وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَؤَكِّدَ لَكَ أَنَّهُ لَيْسَ
هَذَاكَ مَكَانَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، كَمَا أَنَّ جُونَ أَفْضَلُ سَوَاسِ الْخَيْلِ فِي
هَذِهِ الْبِلَادِ . هَذَا إِلَى جَانِبِ جِيَمَسَ الَّذِي يُعَدُّ أَحْسَنَ الصَّيِّبَةِ . أَمَّا السَّيِّدُ
غُورْدُونَ فَهُوَ أَحْسَنُ أَصْحَابِ الْجِيَادِ . نَعَمْ ، إِنَّ هَذَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُغَيِّرَ مِنْ
جِلْبَاحِ جَنَحَرَ أُنْثَاءَ وَجُودِهَا هُنَا . »

الفصل الرابع

بدأت بداية طيبة

كان اسم رئيس ستواس الخيل جون مأللي ، وكان يسكن مع زوجته وأبيه الوحيد في منزل صغير على مقربة من خطيرة الجياد .

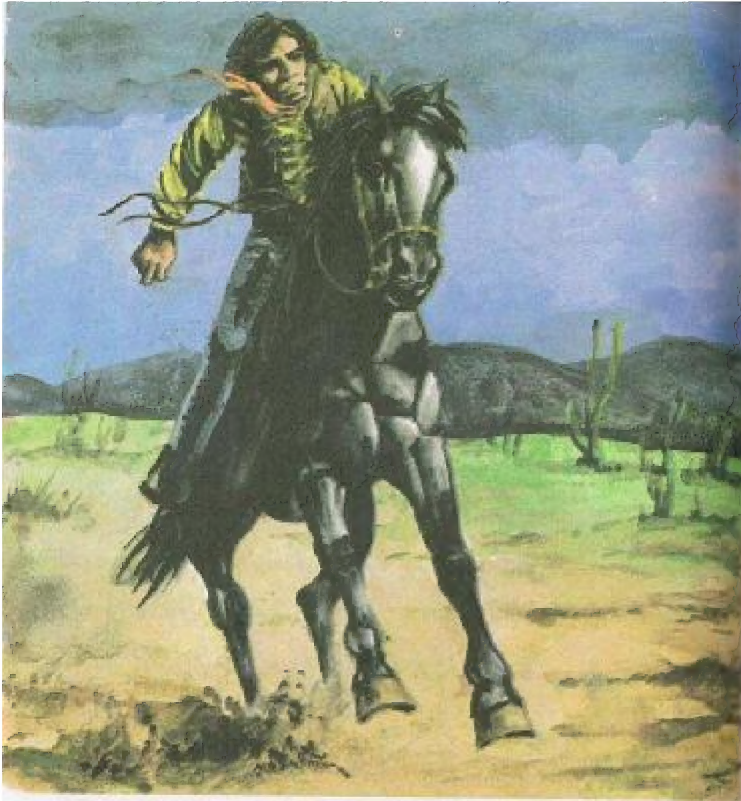
في صباح اليوم التالي ، حضر جون واصطحبني إلى الخطيرة واغتني بي . وعمل بكل جد لينظف شعري ويجهزني ، ثم جاء السيد غوردون ونظر إلي قائلًا :

« إنه يبدو ممتازًا . وكنت أود أن أحرته بنفسى صباح اليوم ، ولكنني مشغول ، لذا اركبة أنت يا جون ، وقل لي رأيك فيه . »

وضع جون السرج على ظهري ، ولكنّه وجدّه صغيرًا ، فقهره ، ثم الطلقنا : وجدّ أن جون فارس ماهر جدًا ، وكنت أعرف ما يريد مني .

سيرت مسافة على الطريق وركضت مسافة أخرى . وحاولت أن أجعلهُ يقوى ركوبي . فاذنني بعيدًا عن الطريق إلى أرض فسيحة بها الكثير من الحشائش وبعض الأشجار . ولما أراد مني أن أعلو عدوت بكل سرعة . وقد أجدت أعلو ، وسررت بذلك سرورًا بالغا ، وأظن أن جون سجد بذلك أيضًا . عندما رجعنا إلى المزرعة سأل السيد غوردون السائس جون عنّي قائلًا : « كيف حال الجواد يا جون ؟ »

أجابته قائلًا : « إنه ممتاز ، بل إنه جواد رائع يجري كالطير ، ويجب



أعلو . وإذا أحرثت العنان قليلًا عرف ما تريد أن تفعله ، فيقف أو يتعطف يمينًا أو شمالًا . ويبدو أنه كان دائمًا موضع عطف الجميع ، لهذا فإنه لا يخشى أحدًا ولا يخاف من أي شيء . »

قال السيد غوردون : « يسعدني أن أسمع ذلك ، وسوف أحرته بنفسى غدا . »

في صباح اليوم التالي نطف جُون جلدي بالفَرْجُون ، وَضَع السَّرَجَ
على ظَهري وَاصْطَحَبَنِي مِنَ الْخَطِيرَةِ إِلَى الْمَنَولِ .

تَذَكَّرْتُ مَا كَانَتْ تَقُولُهُ لِي أُمِّي ، إِذَا خَرَصْتَ عَلَى أَنْ أَعْمَلَ كُلَّ مَا كَانَ
يَطْلُبُهُ مِنِّي السَّيِّدُ غُورْدُون . فَقَدْ كَانَ مَاهِرًا فِي رُكُوبِ الْجِيَادِ ، عَطُوفًا إِلَى
فَرَجَةٍ بَعِيدَةٍ .

عِنْدَمَا عَادَ بَنِي السَّيِّدِ إِلَى الْبَيْتِ الْكَبِيرِ كَانَتْ زَوْجَتُهُ تَقِفُ بِالْبَابِ ،
فَقَالَتْ لَهُ : « حَسَنٌ يَا غَزِيرِي : هَلْ أَغْنَيْكَ الْجَوَادُ ؟ »

أَجَابَهَا السَّيِّدُ غُورْدُون : « إِنَّ مَا قَالَهُ جُون عَنْهُ صَاحِبُ ثَمَانٍ . إِنَّهُ أَحْسَنُ
مَارَكِبَتٍ مِنَ الْجِيَادِ . ثُمَّ سَأَلَهَا : « مَاذَا تُسَمِّيهِ ؟ »

أَجَابَتْهُ زَوْجَتُهُ : « إِنَّهُ جَوَادٌ أَسْوَدٌ جَمِيلٌ . وَيُمْكِنُ أَنْ تُسَمِّيَهُ الْجَمَالَ
الْأَسْوَدَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

قَالَ زَوْجُهَا : « الْجَمَالَ الْأَسْوَدُ ! نَعَمْ ، نَعَمْ ! فِي رَأْيِي إِنَّهُ اسْمٌ
جَمِيلٌ . »

خَضِرَ جُون لِيُقَوِّدَنِي إِلَى الْخَطِيرَةِ ، فَقَالَ لَهُ السَّيِّدُ غُورْدُون : « لَقَدْ
أَطْلَقْتَ زَوْجِي عَلَى الْجَوَادِ اسْمَ الْجَمَالَ الْأَسْوَدِ . »

سَرَّ جُون بِذَلِكَ سُرُورًا بَالِغًا ، وَقَالَ لِي وَهُوَ يَقُودُنِي :
« هَيَّا بِنَا أَيُّهَا الْجَمَالَ الْأَسْوَدُ . إِنَّكَ فَعَلًا الْجَمَالَ بِقِيَّتِهِ - كَمَا أَنَّ هَذَا
اسْمٌ لَطِيفٌ . »

الفصل الخامس

أَصْدِقَائِي الْجَدُّ

أُحِبُّ جُونَ كَثِيرًا ، وَكَانَ سَائِسَ خَيْلٍ مُنْتَازًا . وَقَدْ خَرَصَ عَلَى أَنْ
يَجْعَلَ شَغْرِي الْأَسْوَدَ يَتَدَوَّى فِي أَجْمَلِ مَنْظَرٍ . وَكَانَ يُقَحِّصُ قَوَائِمِي كُلَّ
يَوْمٍ ، وَيَعْرِفُ إِذَا كَانَتْ أَيُّ مِنْهَا تُؤْلِمُنِي ، فَيَقُومُ بِمَسْحِهَا بِشَيْءٍ فِي يَدِهِ .
وَكَانَ يَتَحَدَّثُ مَعِي كَثِيرًا ، وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ كُلَّ كَلِمَاتِهِ . وَلَكِن بَعْدَ
فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ صِرْتُ أَعْرِفُ مَا يَدُورُ بِفِكْرِهِ . وَقَدْ أُخْبِثْتُ جُونَ مَا لِي حُبًّا
بَالِغًا .

أُخْبِثُ جِيَمِسَ هُولْدَ أَيْضًا ، وَهُوَ الصَّبِيُّ الَّذِي يَعْمَلُ بِالْخَطِيرَةِ . وَقَدْ
تَعَلَّمُ مِنْ جُونِ كَيْفَ يَكُونُ رَقِيقًا فِي تَعَامُلِهِ مَعَ الْجِيَادِ . وَكَانَ يُسَاعِدُ جُونَ
فِي الْعَنَاءَةِ بِي ، وَقَدْ دُلَّهُ جُونُ عَلَى أَجْزَاءِ جِسْمِ الْجِصَانِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ
تُؤْلِمَهُ إِذَا مَا دُلَّكَتْ بِشَيْءٍ . وَعَرَفَهُ أَيْضًا الْأَجْزَاءَ الَّتِي إِذَا مَارَبَتْ عَلَيْهَا
السَّائِسُ أَوْ دَلَّكَهَا شَعَرَ الْجِصَانِ بِالرَّاحَةِ .

وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ خَرَجْتُ لِأُشَارِكَ جَنْجَرَ فِي جَرِّ إِحْدَى الْعَرَابَاتِ . وَكُنْتُ
خَائِفًا مِنْهَا ، لِأَنَّهَا رَفَعَتْ أَذُنَهَا إِلَى الْخَلْفِ عِنْدَمَا فَادُونِي إِلَيْهَا ، وَلَكِنِّي
وَقَلْتُ سَاكِئَةً نِيَّتَمَا كَانُوا يَضْعَعُونَ طَقَمَ الْجَرِّ قَوْفِي وَأَنَا بِجِوَارِهَا .

تَوَلَّى جُونُ قِيَادَتَنَا ، وَغَمَلْنَا بِكُلِّ جِدٍّ ، فَلَمْ تَكُنْ جَنْجَرَ بِالْفَرْسِ
الْكَسُولِ ، بَلْ كَانَتْ تُجَرُّ الْعَرَبَةَ بِنَفْسِ الْقُوَّةِ الَّتِي أُجَرُّ أَنَا بِهَا عِنْدَمَا كُنَّا

السَّيِّدُ الصَّغِيرَانِ ثُجْبَانِ رُكُوبُهُ دُونَ أَنْ تَخَافَا السَّقُوطَ مِنْ فَوْقِ ظَهْرِهِ .
 أَمَّا رُوحَةُ السَّيِّدِ غُورْدُونَ فَقَدْ أَحْبَبْنَا نَحْنُ الثَّلَاثَةُ وَأَحْبَبْنَاهَا .
 كَانَ السَّيِّدُ غُورْدُونَ خَرِيصًا عَلَى أَنْ يَمْنَحَ مَنْ يَعْمَلُونَ مَعَهُ يَوْمًا لِلرَّاحَةِ
 مِنْ الْعَمَلِ كُلِّ أُسْبُوعٍ ، وَكَانَ لِحَيَاوِهِ الْحَقُّ نَفْسُهُ . وَكَانُوا فِي أَيَّامِ الْآحَادِ
 يَقُودُونَنَا إِلَى حَقْلِ غَنِّي بِالْعُشْبِ الْأَخْضَرِ الْجَمِيلِ ، وَنَظَّلُ هُنَاكَ طَوَالَ الْيَوْمِ
 دُونَ أَعْيَةٍ أَوْ سُورٍ وَكُنَّا نَجْرِي وَنَلْعَبُ فِي سَعَادَةٍ ، وَنَقِفُ تَحْتَ الْأَشْجَارِ
 وَنَقْضِي الْوَقْتَ فِي سَرْدِ الْقَصَصِ .



لَصَعْدُ نَلا مِنْ أَثَلَالٍ ؛ بَلْ كَانَتْ دَائِمًا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنْ نُرِيدَ مِنْ سَرْعَتِهَا .
 فَمِنْ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْحَيَاةِ لَا تُسْرَعُ الْخُطَى إِلَّا إِذَا ضَرَبَهَا السَّائِقُ
 بِسَوْطِهِ ، أَمَّا جَنْكِرُ فَكَانَتْ بِطَلِي ، إِذْ كُنَّا نَجْرِي بِأَسْرَعِ مَا نَسْتَطِيعُ بِجَنْكِرٍ
 أَنْ يَطْلُبَ مِنَّا السَّائِقُ ذَلِكَ . وَلَمْ يَكُنْ حُونَ لِحَبِّ أَنْ يَسْتَعْبِلَ السَّوْطَ ، فَلَمْ
 يَضْرِبْنَا بِهِ ، وَغَبَلْنَا مَعَهُ بِكُلِّ جِدٍّ .

بَعْدَ أَنْ خَرَجْتُ مَعَ جَنْكِرِ عِدَّةَ مَرَاتٍ لِبَحْرِ الْعَرَبِيَّةِ تَوَلَدَتْ أَوَامِيرُ الْمَصَادِقَةِ
 نَيْتَنَا ، وَأَحْبَبْنَا مَرِيضًا حُبًّا جَدًّا . فَقَدْ كَانَ جَوَادًا شَجَاعًا ، وَكَانَتْ أَيْتَنَا

الفصل السادس

الجسر

في يوم من أيام شهر نوفمبر ، رغب السيد في زيارة عقد من الرجال في بلدته . كانت الرحلة إلى هناك طويلة فربطني جون إلى عربة صغيرة ذات عجلتين ، لا يجد الجواد في جرها صعوبة تذكر . وكانت عجلتا العربة كبيرتين مما جعلها تسير في سهولة وسرعة .

تولى جون مالمي قيادة العربة بينما جلس سيدي إلى جواره . كان المنظر يهبط بهزارة ، والطقس رديا ، والطريق يتر في أحد المواضع فوق النهر غير جسر حشبي . وكانت المياه تملأ النهر وتفيض لتغطي بعض جوانب الجسر . ولكننا رغم ذلك كنا نستطيع أن ننتهي جانبي الجسر المشيد من الخشب ، فضلا عن أن الجسر كان ثابتا لا يهتز تحت قوائمنا ، ولهذا لم نشعر بالخوف عندما عبرناه .

انقضت ظروف عمل سيدي أن يبقى في بلدته ليضع ساعات . وبدلنا رحلة العودة في الوقت الذي هبط فيه الظلام ، وكان المنظر يهبط .

فقد سيدي العربة ، وعندما وصلنا إلى الجسر لم نجد الجدران على الإطلاق ، لذا فإني بدأت أخلط طريقني بالعربة لتغير النهر . وما إن وصلت فوالهي الجسر حتى تبين أنه يجب ألا نعبره ، فتوقفت على الفور .

قال سيدي : « اعتبر ! اعتبر ! لا تخف ! إن الماء الذي يغطي الجسر قليل . ولنستني بالسوط ، ولكنني ظننت واقفا في مكاني .



قال جون : « إنه عابث من شيء ما ، وفقر من العربة وتقدم حتى وصل إلى رأسي وقال لي : « ميا ! تقدم أيها الجسد ! » وحاول أن يقودني فوق الجسر ، ولكنني لم أتحرك . فقد كنت أشتت أنه يتنهي إلا سير فوق هذا الجسر .

كان على الضفة الأخرى من النهر بيت يسكنه رجل يعمل في صيانة هذا الطريق . وما إن سمع أصواتنا ورأى حنوة العربة من نافذته حتى خرج من منزله ، وهو يحمل مصباحا ويصيح قائلا : « توقفوا ! انظروا ! » ولما وصل إلى الجسر صاح قائلا :

« لقد سقط جزء من الجسر في النهر ، وجرفته المياه بعيدا . إنكم لا

تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعْبُرُوهُ ، وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَوَاصِلُوا السَّيْرَ بِسَحَابَةِ الْفَهْرِ حَتَّى
تَصِلُوا إِلَى الْجِسْرِ الْآثَالِيِّ .
قَالَ سَيِّدِي : « شَكَرًا لَكَ » .

أَمَّا جُونُ فَقَالَ لِي : « إِنَّكَ حَقًّا جَمِيلٌ » ، وَقَادَنِي بَعِيدًا عَنْ الْجِسْرِ .
صَنَعَ سَيِّدِي وَجُونُ مَائِلِي لِحُطَّةً ، وَتَحَنَّنَ فِي طَرِيقِنَا إِلَى الْجِسْرِ
الْآثَالِيِّ ، ثُمَّ أَخَذَا يَتَحَدَّثَانِ عَنْ حَادِثَةِ الْجِسْرِ . وَقَالَ سَيِّدِي :

« إِنَّ الْإِنْسَانَ يَعْرِفُ كَيْفَ يُفَكِّرُ وَكَيْفَ يُفَسِّرُ الظُّوَاهِرَ ، لِأَنَّ اللَّهَ
خَلَقَهُ بِهَذِهِ الْقُدْرَةِ . أَمَّا الْجِبَادُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْخَيَوَانِ الصَّدِيقَةِ لِلْإِنْسَانِ
فَقَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ بِصُورَةٍ أُخْرَى . فَهِيَ تَعْرِفُ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً بِالْفَرِيضَةِ وَتَدُونُ أَنَّ
تُفَكِّرُ ، وَلِهَذَا فَإِنَّهَا تَتَمَكَّنُ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَنْ تُتَّقِدَ الْإِنْسَانَ » .

قَالَ جُونُ مُؤَيَّدًا سَيِّدَهُ : « نَعَمْ هَذَا صَحِيحٌ » . ثُمَّ شَرَعَ يَحْكِي قِصَصَهُ
عَنْ بَعْضِ الْجِبَادِ الَّتِي أَكْفَذَتْ أَصْحَابَهَا .

عِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى الْمَرْزَعَةِ خَرَجَتْ زَوْجَةُ السَّيِّدِ غُورْدُونُ مِنَ الْبَيْتِ
وَقَالَتْ : « كَمْ أَنَا سَعِيدَةٌ بِعَوْدَتِكُمْ أُخِيرًا . هَلْ وَقَعَ مَكْرُوهٌ لَكُمْ ؟ »
أَجَابَهَا السَّيِّدُ غُورْدُونُ : « لَا يَا غُرِيَّتِي ، وَلَكِنَّا كُنَّا نَلْقَى حُفْنًا ،
لَوْلَا أَنَّ الْجَمْعَالَ الْأَسْوَدَ أَتَقَدَّنَا ، وَرَافَقَهَا إِلَى دَاخِلِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَقْصُرُ
عَلَيْهَا مَا حَدَّثَتْ عِنْدَ الْجِسْرِ .

قَادَنِي جُونُ إِلَى الْخَطِيرَةِ وَقَفَّ عَنِّي طَقَمَ جَرِّ الْعَرَبَاتِ . وَيَالَهُ مِنْ
عَشَاءٍ طَلَبَ ذَلِكَ الَّذِي قَدَّمَهُ إِلَيَّ فِي بَيْتِكَ اللَّيْلَةَ ! كَمَا لَقِيتُ مِنْ جُونِ
مَرْبِدًا مِنَ الرِّعَايَةِ ، وَفَعَلَ كُلُّ مَا يَسْتَطِيعُ لِيَعْبُرَ لِي عَنْ شُكْرِهِ .

الفصل السابع جيمس هوارد

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ جَاءَ السَّيِّدُ إِلَى الْخَطِيرَةِ وَسَأَلَ جُونُ مَائِلِي : « كَيْفَ
يُودِي جِيمْسُ عَمَلَهُ بِجُونِ ؟ »

أَجَابَهُ جُونُ : « بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ جِدًّا ، لَقَدْ تَعَلَّمَ الْكَثِيرَ ، وَهُوَ غَطُوفٌ عَلَى
الْجِبَادِ ، وَهِيَ نَجِيَّةٌ . إِنَّهُ يَتَعَلَّمُ الْآنَ كَيْفَ يَقُودُهَا ، وَسَرْعَانَ مَا يَصْبِيحُ
سَائِقًا مُتَنَازِلًا » .

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ حَضَرَ جِيمْسُ ، فَقَالَ لَهُ السَّيِّدُ : « يَا جِيمْسُ ! لَقَدْ
تَسَلَّمْتُ بِحُطْبَاءٍ مِنْ صَدِيقِي السَّيِّدِ كِلْيُفُورْدِ وَلِيَامَرْ ، يَطْلُبُ فِيهِ مِنِّي أَنْ أُرْسِلَ
لَهُ شَيْئًا يَفْعَلُ عِنْدَهُ سَائِسًا لِجِبَادِهِ ، وَسَيَذْهَبُ لِهَذَا الشَّيْءِ أَجْرًا مُجْزِيًا ،
وَيُحْصِنُ لَكَ غُرْفَةً لِسُكْنَاهُ ، وَسَيُؤَمِّرُكَ مَا يَحْتَاجُهُ مِنْ مَلَابِسٍ لِلْعَمَلِ
بِالْخَطِيرَةِ . وَسَيَكُونُ هُنَاكَ عِنْدَ مِنَ الصَّبِيِّ لِمُسَاعَدَتِهِ . إِنَّمَا لَا أَوْدُ أَنْ
أَفْقِدَكَ ، كَمَا أَنَّ جُونُ سَيَحْزَنُ لِفِرَاقِكَ » .

قَالَ جُونُ مُؤَيَّدًا : « نَعَمْ ، سَوْفَ أُحْزَنُ لِذَلِكَ ، وَلَكِنِّي لَنْ أَحَاوِلَ أَنْ
أُفْقِدَكَ لَوْ أُعْطِرْتُ طَرِيقَهُ » .

قَالَ السَّيِّدُ غُورْدُونُ : « نَعَمْ سَوْفَ نُحْزَنُ جَمِيعًا لِفِرَاقِكَ ، وَلَكِنَّا نَتَمَنَّى
لَكَ الْخَيْرَ . وَعَلَيْكَ أَنْ تُنَاقِشَ مَعَ وَالِدِكَ هَذَا الْمَوْضُوعَ وَفَتْ تَنَاوُلِ الْعَدَاءِ ،
ثُمَّ أَيْلَعْنِي بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كُنْتَ تَرَعَّبُ فِي أَنْ أُرْسِلَكَ لِلْعَمَلِ لَدَى السَّيِّدِ » .

كلبورد ولبازر .

عندما عرفنا أن جيمس يرغب في أن يذهب ويتركنا نتغرت بالخزين ،
وكان ذلك هو شعور جنجر وويلغر أيضا . ولكننا كنا نعرف أن هذا في
صالحه .

فل أن يتركنا جيمس يسيرة أسابيع ظللنا نعمل معه بكل جد ، فقد كان
يريد أن يكون سابقا ممتازا ، وكان كل من السيد غوردون وجون مائي
يرغبان في مساعدته لذا فقد كانت القرية تخرج كل يوم ، وكنت أنا
وجنجر نجرها ، ويقوم جيمس بقيادةها ، وكان يتعلم بسرعة . وقد جلس
جون في أول الأمر إلى جواره لمدة خمسة أسابيع حتى صار يحسن القيادة
وتحده بعد ذلك .

كان سيدي يقول من وقت لآخر : « يجب أن أذهب إلى المدينة . »
فكنا نذهب دائما في أوقات غير مناسبة ، فوجدنا هناك أعدادا كثيرة من
الغريبات بأنواعها المختلفة ، والكثير من راكبي الجياد والذين كانوا
يتوجهون إلى محطات القطارات ، أو يعبرون الجسر وهم في طريق
عودتهم إلى منازلهم .

ذات يوم قال السيد غوردون لجون مائي : « يجب أن أذهب مع زوجتي
إلى المدينة المجاورة غدا . سوف نذهب بالقرية التي سيجرها الجمال
الأسود ومعه جنجر ، وسيتولى جيمس القيادة . »

كانت الرحلة إلى هذه المدينة تعني السفر مسافة خمسة وسبعين



كيلومترًا . وفي اليوم الأول من الرحلة قطعنا خمسين كيلومترًا ، ثم توقفنا
لبَيْت في أكبر فنادق البلدة .

أجّاد جيمس قيادتنا طوال الرحلة ، فكُنّا إذا صعدنا ثلًا توقفنا أغلّة
قليلًا ، ولم يكن يُسرّع في يادّيه عند لُزولنا منه . وكان يختار أفضل
الأمّاكن من الطريق التي لنا ميب فوايقنا حتّى نسير عليها . وتلك أمورٌ نهم
كلّ جواد ، كما أنّ الجّواد تسعد لسماع الكلمات الرقيقة الطيبة .

في الفندقيّ لقينا كلّ عناية ، كما قدّم لنا هناك أفضل أنواع الطّعام . ربّت
جيمس علينا قائلاً : « سجدلما نساء ، واثنتي لكما ، ألبت واجنجر ونا ايها
الجمال الأسود نوما هادئا . » ثم تركنا وانصرف .

الفصل الثامن

أثّار

بعد وصولنا الفندقيّ بساعة تقريبًا ، قدّم إلى هناك رجلٌ ينطيط صهوة
جواد ، فقام أخذ العاملين بالفندقيّ بإحضار الجّواد إلى الخطيرة .
لم يكن في المزّوعة أحدٌ يدخّن على الإطلاق في الخطيرة ، أمّا هنا فكان
هذا الرجل يدخّن .

وعندما أدخلوا الجّواد الخطيرة اقتادوه إلى مكانٍ لا طّعام فيه ، لهذا فإنّ
سائس الخطيرة خرج ليحضر له بعض الطّعام ، وكان طّعام الخيل يوضع
فوق سطح الخطيرة ، لذا فقد صعد هذا السائس فوق الخطيرة ، وأحضر
بعض الطّعام والقاه للجّواد وانصرف .

بنّت قليلًا ، واستيقظت وأنا أشعر ببعض الكآبة التي لم أعرف لها
سببًا ، وسبغت جنيح تحرك قوايقها ، ثم سبغت أنفاسها وهي تتشوّم في
الهواء . وبعد ذلك شمت رائحة دخانٍ أخذ يتراكد حتّى ملأ الخطيرة
كلّها . وسمعت صوتًا فوق رأسي ، وكان صوت شيء يحترق .

في هذا الوقت استيقظت كلّ الجياد التي كانت بالخطيرة ، وبذات
تحرك في محاولة منها للهروب من هذا الدخان ، وشعرت بخوفٍ لم أعرف
له سببًا من قبل ، ولا عرفت له سببًا من بعد .

أخيرًا جاء سائس الفندقيّ إلى الخطيرة ، وحاول أن يخرج الجياد منها ،

وَلَكِنَّهُ كَانَ بَلَدًا خَائِفًا، وَحَاوَلَ أَنْ يَتَصَرَّفَ بِسُرْعَةٍ مِمَّا زَادَ مِنْ خَوْفِهِ،
حَتَّى إِنَّ كُلَّ الْجِيَادِ خَرَّتْ، وَلَمَّا جَاءَ إِلَى حَاوَلِ أَنْ يُجِدَنِي وَيُخْرِجَنِي
بِسُرْعَةٍ مِنَ الْخَطِيرَةِ، وَبَدَأَ يُجِدِبُ وَيُخِذِبُ وَلَكِنِّي خَرْتُ.
كَانَ تَصَرُّفًا غَيِّبًا مِنَّا، وَلَكِنَّمَا لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُ هَذَا السَّيْسَ، فَضَلَّ عَنْ أَنَّهُ
كَانَ هُوَ تَفْسُهُ خَائِفًا.

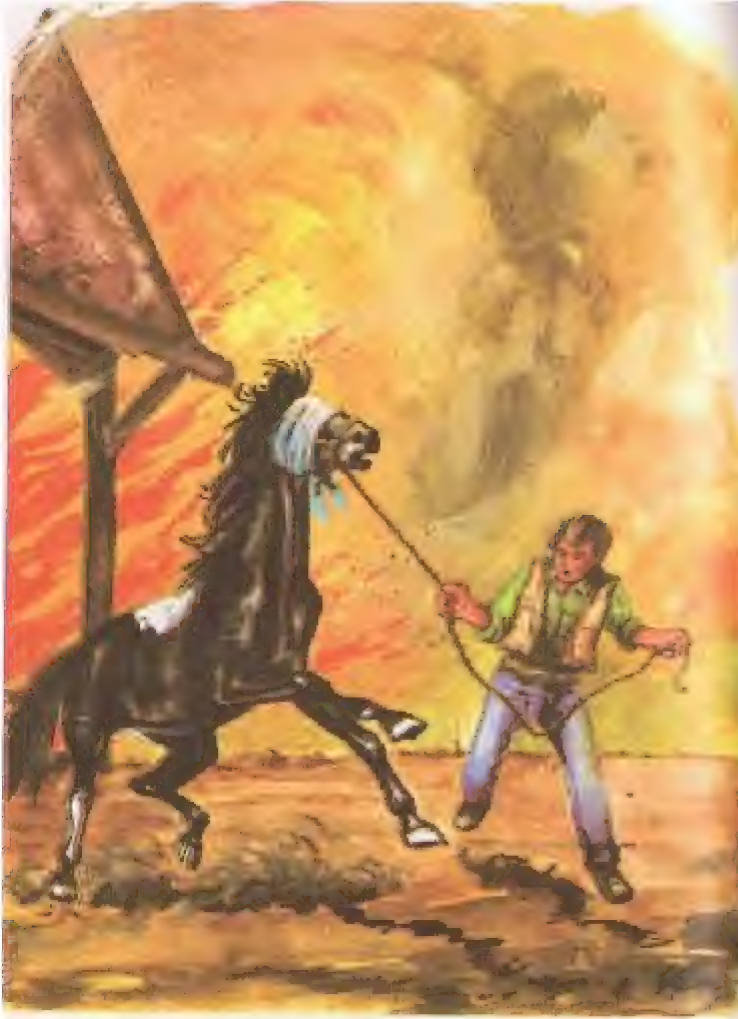
إِذَا دُرْتُ كَثَافَةُ الدُّخَانِ بِالْخَطِيرَةِ، ثُمَّ رَأَيْنَا السَّبَّةَ أَثَارَ الْخُمْرَاءِ نَمْتَدُّ مِنَ
السَّطْحِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا، وَنَسْتَعِينُ مَنْ يَصْرُخُ: «أَثَارُ! أَثَارُ!»، وَأَقْبَلْتُ إِلَى
الْخَطِيرَةِ جُمُوعٌ مِنَ الرِّجَالِ.

اِسْتَدْتُ فَأُجِجَ الشَّرِيفُ، وَجَاءَ جَيْمُسُ نَحْوَ رَأْسِي، وَبَدَأَ يُخَذِّلُنِي كَمَا كَانَ
يُخَذِّلُنِي فِي الصَّبَاحِ فَقَالَ: «هَيَّا إِلَيْهَا الْجَمَالُ الْأَسْوَدُ! هَيَّا بِنَا نَتَصَرَّفُ!
لَا تَخَفْ، وَبِرَّ مَعِي! وَتَسْرِعَانِ مَا سَتُخْرُجُ مَعًا بَعِيدًا عَنْ هَذَا الدُّخَانِ».

وَرَفَعْتُ فَعْلَمَةً مِنَ الْقِمَاشِ عَنْ رَقَبَتِي وَلَفَّهَا حَوْلَ رَأْسِي فَغَطَّتْ عَيْنَيَّ، وَلَمْ
أَعُدْ أَرَى أَثَارَ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ. وَاسْتَمَرُّ نَرَبْتُ عَلَى ظَهْرِي
وَيَتَحَدَّثُ إِلَيَّ حَدِيثَ الصَّدِيقِ إِلَى الصَّدِيقِ حَتَّى غَرَجْنَا مَعًا إِلَى الْهَوَاءِ الْقَيِّمِ
خَارِجَ الْخَطِيرَةِ.

صَاحَ جَيْمُسُ مُنَادِيًا: «نَلْيَأْتِ إِلَيَّ أَحَدٌ وَيَأْخُذْ هَذَا الْجَوَادَ حَتَّى أَذْهَبَ
وَأُخْرِجَ بَقِيَّةَ الْجِيَادِ».

جَاءَ رَجُلٌ صَحْمٌ الْجِلْدُ وَاصْطَفَعْنِي، وَرَاحَ جَيْمُسُ يَجْرِي عَالِدًا إِلَى



الخطيرة، وَلَمْ أَكُنْ سَعِيدًا عَلَى الْإِطْلَاقِ لِرُؤْيِي جِيْمَسَ يَعُودُ إِلَى الْخَطِيرَةِ
الَّتِي اسْتَعَلَّتْ بِهَا أَثَارُ، فَأَخَذْتُ أَصْهْلَ . وَأَبْلَغْتُ جَنْجَرَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِي أَنْ
صَهْلِي هَذَا هُوَ الَّذِي أَنْقَذَهَا، لِأَنَّهُ سَمِعَنِي وَأَنَا أَصْهْلُ خَارِجَ الْخَطِيرَةِ ؛
وَلَمَّا كَانَتْ عَلَى قَدَرٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ فَإِنَّهَا غَرَّجَتْ نَعَجَ جِيْمَسَ .

كَانَتْ الْأَخْدَاتُ الْكَثِيرَةُ تَتَوَالَى حَوْلِي، وَكَانَتْ أَنْظُرُ طَوَالَ الْوَقْتِ إِلَى
بَابِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي كَانَتْ تَنْبُتُ بِهَا الْبُرَانُ، وَتَقْصَعُ مِنْهَا الدَّخَانُ، ثُمَّ
سَمِعْتُ صَوْتِ أَشْيَاءَ تَتَسَاقَطُ .

أَقْبَلَ سَيِّدِي يَجْرِي نَحْوَ الْخَطِيرَةِ وَيُنَادِي قَائِلًا : « جِيْمَسُ ! جِيْمَسُ !
هَوَارِدُ ! هَلْ أَنْتَ هُنَاكَ ؟ »

لَمْ يَسْمَعْ سَيِّدِي جَوَابًا، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ أَصْوَاتًا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ
تَتَسَاقَطُ دَاخِلَ الْخَطِيرَةِ، وَشَعُرْتُ بِخَوْفٍ شَدِيدٍ عَلَى جِيْمَسَ وَجَنْجَرَ .

وَكَمْ سَعِدْتُ، عِنْدَمَا شَاهَدْتُ جِيْمَسَ يُخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الْبُرَانِ وَمَعَهُ جَنْجَرَ
مُتَّجِهَيْنِ نَحْوَنَا، وَصَاحَ السَّيِّدُ فَرَحًا : « يَا لَكَ مِنْ شَجَاعٍ ! » ثُمَّ سَأَلَهُ : « هَلْ
أَصِيبَتْ ؟ »

لَمْ يَسْتَطِيعَ جِيْمَسَ الْكَلَامَ بِسَبَبِ الدَّخَانِ، وَلَكِنَّهُ أَشَارَ بِمَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ
يُصِيبْ، وَرَبَّتْ عَلَى رَقِيَّةٍ جَنْجَرَ فِي سَعَادَةٍ .

الفصل التاسع

جُو عَرِينُ الصَّغِيرُ

عَالَى كُلِّ مَنْ جِيْمَسَ وَجَنْجَرَ مِنْ الْأَلَمِ طَوَالَ الْيَوْمِ الثَّالِي، فَقَدْ أَصِيبَا
بِخُرُوقِ فِي أَجْزَاءٍ عَدِيدَةٍ مِنْ جِسْمَيْهِمَا . وَأَضْرَبَ بِهِمَا الدَّخَانُ، لَمَّا بَقِيََا فِي
ذَلِكَ الْفَنَاءِ طَوَالَ الْيَوْمِ . وَبَعْدَ أَنْ قَضَيْنَا لَيْلَةً أُخْرَى نَحْسَنُ حَالَهُمَا،
فَتَوَجَّهْنَا إِلَى التَّدِينَةِ الْمُجَاوِرَةِ فِي الصَّبَاحِ .

لَقَدْ قَتَلَ جِيْمَسَ مَا فِي اسْتَطَاعَتِهِ لِلسَّاعِدَةِ جَنْجَرَ حَتَّى يَتَحَسَّنَ حَالُهَا،
وَاسْتَشَارَ بَعْضَ سَوَاسِ الْحَيْلِ يَمِّنَ لَدَيْهِمْ بِحِجْرَةٍ أَكْبَرَ فِي رِعَايَةِ الْحَيْلِ،
فَأَمْنُوهُ بِالْصَّبْحِ وَارْتُدُّوا إِلَى مَا تَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ لِرِعَايَتِهَا . وَعِنْدَمَا عُدْنَا إِلَى
الْمَرْزَعَةِ كُنَّا جَمِيعًا فِي حَالَةِ الْفَضْلِ بِكَثِيرٍ .

اسْتَمَعُ جُونُ إِلَى الْقِصَّةِ الَّتِي رَوَاهَا جِيْمَسُ هَوَارِدُ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ وَإِلَى
جَنْجَرَ وَقَالَ لِجِيْمَسَ : « لَقَدْ أَحْسَنْتَ صُنْعًا يَا جِيْمَسَ . إِنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ
إِخْرَاجُ الْجِيَادِ مِنْ خَطِيرَةٍ تَخْتَرِقُ . إِنْ أَخَذْنَا لَا نَعْرِفُ لِمَاذَا نَرْفُضُ الْجِيَادَ أَنْ
نَتْرَكَ مَكَانَهَا، خَاصَّةً إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَخْصٌ نَعْرِفُهُ يَتَوَلَّى قِيَادَتَهَا وَإِخْرَاجَهَا
مِنَ الْخَطِيرَةِ، شَخْصٌ نَعْرِفُهُ وَنُجِيهِ . »

عِنْدَ خُرُوجِهِمَا مِنَ الْمَرْزَعَةِ قَالَ جِيْمَسُ لِحُونِ : « هَلْ نَعْرِفُ مَنْ سَيَحُلُّ
مَحَلِّي ؟ »

أَجَابَهُ جُونُ : « نَعَمْ إِنَّهُ جُو عَرِينُ الصَّغِيرُ، ابْنُ الْبُسْتَانِيِّ . »

«جُو غَرِين الصَّغِيرُ ١٩ وَلِكِنَّهُ طِفْلٌ ١»

«إِنَّهُ يَبْلُغُ مِنَ الْعَمَلِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ عَامًا .»

«وَلِكِنَّهُ صَغِيرٌ جَلًا ١»

«إِنَّهُ صَغِيرٌ وَلِكِنَّهُ سَرِيعُ الْحَرَكَةِ ، وَلَقَدْ سِغْدَ لِلْعَلَمِ . كَمَا أَنَّ غَطُوفَ ، وَسِغْدَ وَاللَّهِ عِنْدَمَا يَحْضُرُ لِغَمَلِ هُنَا . وَأَعْرِفُ أَنَّ السَّيِّدَ غُورْدُونَ يَوْمَ ذَلِكَ .»

استاء جيمس من هذا الموضوع وقال : «إِنَّهُ غَلَامٌ لَا تَأْسُ بِهِ ، وَلَكِنْ سَيَكُونُ عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِالْكَثِيرِ مِنَ الْأَعْمَالِ لِأَنَّهُ مازالَ صَغِيرًا .»

قال جون : «حَسَنٌ ، إِنِّي أُحِبُّ الْعَمَلَ ، وَمَا كُنْتُ أَخَافُ يَوْمًا مِنْ كَثْرَةِ الْعَمَلِ .»

قال جيمس : «أَعْرِفُ ذَلِكَ وَسَأَحَاوِلُ دَائِمًا أَنْ أَكُونَ بِشَئِكَ .»

في اليوم التالي جاء جُو إلى الْخُطْبَةِ حَتَّى يَتَعَلَّمَ مِنْ جِيمْس قَلْبَ اسْتَطَاعَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتْرَكَ جِيمْس الْعَمَلَ . فَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَنْظِفُ الْخُطْبَةَ ، وَكَيْفَ يُطْعِمُنَا ، وَبَدَأَ يَنْظِفُ أَطْقَمَ جَرِّ الْقَرَابَاتِ ، وَيُعَاوِدُ فِي غَسْلِ الْقَرَابَاتِ وَتَنْظِيفِهَا . وَلَكِنَّهُ كَانَ أَصْغَرَ مِنْ أَنْ يَنْظِفَ جِسْمِي وَجِسْمَ جَنْجَرِ الْفَرَجُونِ ، لِذَا عَلَّمَهُ جِيمْسُ كَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَعَ مِرْيَلِيزِ الَّذِي لَمْ يَسْعُدْ بِهِذَا ، فَكَانَ يَقُولُ : «إِذَا تَرَكْتُ شُؤوَنِي فِي يَدِ صَبِيٍّ لَا يَعْرِفُ شَيْئًا ؟»

وَلَكِنَّهُ عَادَ يَقُولُ بَعْدَ أُسْبُوعٍ : «أَعْنَيْدُ أَنْ هَذَا الصَّبِيُّ سَوْفَ يَتَعَلَّمَ الْكَثِيرَ ، وَسَوْفَ أَسَاعِدُهُ عَلَى أَنْ يَتَعَلَّمَ بِسَرْعَةٍ .»

كَانَ جُو غَرِين الصَّغِيرُ صَبِيًّا مُرَحًّا ، وَكَانَ يُغْنِي دَائِمًا أَثْنَاءَ الْعَمَلِ .
وَسَرَّعَانَ مَا بَدَأَ يَخْطِي بِقَدَرٍ كَبِيرٍ مِنْ حِينَا .

الفصل العاشر

زيارة الطبيب

كانت الخطيرة مزودة بخرس يستخدم لاستدعاء الناس إلى المنزل. وفي إحدى الليالي، بعد أن انصرف جيمس، رن هذا الخرس، فأيقظني رنينه. وسبعت صوت خطوات جون وهو يجري نحو البيت، ثم وهو يندو عابداً إلى الخطيرة، ويفتح بابها. وتوجه نحوني وأيقظني قائلاً: «يجب أن نسرع على الفور».

وضعت السرير على ظهري بسرعة، وفادني إلى البيت، حيث كان السيد يقف بآل باب متبكِاً ببصياح، وقال لي جون: «اذعبي يا جون بالجمال الأسود إلى المدينة، وبأقصى ما تستطيعين من سرعة. وسلم الطبيب هوائت هذه الرسالة، وعدي فوراً لأن زوجتي مريضة جداً».

تناول جون الرسالة، وانطلقنا. وكان الوقت ليلاً، وكنت أعرف الطريق، وكان خالياً من الناس الذين كانوا قد آووا إلى فراشهم. وانطلقت أعود كما لم أعُد في حياتي من قبل.

عندما وصلنا إلى الجسر جذب جون العنان قليلاً، فغيرته ركضاً. وهنا لم يطلب مني جون أن أعود مرة أخرى، ولكنني عذوت من تلقاء نفسي لتصفد تلاً وتهدأ أخرى، مارتي في الطريق بالحقول والنازل حتى وصلنا إلى المدينة.

توقفت أمام منزل الطبيب الذي فتح نافذته بعد أن سمع وقع حوافري على حجارة الطريق. وأطل من النافذة وسأل جون: «ماذا تريد؟»

أجابته جون: «إن زوجة السيد غوردون مريضة جداً، ومريدك سيدي أن تأتي معي على الفور. إنه يعتقد أنها ستوف تموت إن لم تحضر يراها. وإليك رسالته».

قال الطبيب: «ستوف أنزل حالا». وأغلق نافذته، ونزل إلينا، وأخذ الرسالة وقراها ثم قال:

«نعم يجب أن اذهب فوراً. ولكنني لا أفري ماذا أفعل، فجوادي العجوز كان يعمل طوال اليوم ولا يستطيع أن يسرع بي إليها، وجوادي الآخر مريض. ماذا أفعل؟ هل لي أن أخذ جواذك؟»

أجاب جون: «لقد قطع هذا الحصان الرحلة غدواً، ولكنني أعتقد أنه يستطيع أن يعود بك إلى هناك».

قال الطبيب: «سأكون مستعداً حالا».

عاد إلى داخل البيت، وقف جون إلى جوازي ورمت على رقبتي، وكان جسدي ساخنًا. وخرج الطبيب مرتدياً ملابس الركوب وفي يده سوط، فقال له جون:

«كنت في حاجة إلى استعمال هذا السوط. إن الجمال الأسود ستوف يسرع بك قدر استطاعته».

شكره الطبيب وأعطاه السوط، وتحدث إلي قائلاً: «والآن أيتها الجمال الأسود - هيا بنا».

الفصل الحادي عشر

إنقاذ السيدة

كان الطبيب أمثلهم من حيون ، ولم يكن يجيد ركوب الخيل ، غير
أني بذلك فصارى جهدي حتى كُذت - عند وصولي إلى المزرعة -
أستطع من الإغياة ، ولكنا وصلنا بسرعة بالغة . وقد سمعنا سيدي عند
وصولنا فأتجّه إلى الباب واضطجعت الطبيب إلى دايل البيت على
القور .

كان جو غرين الصغير ينتظر بالباب أيضا ، وعاد بي إلى الحظيرة .
وشعرت بالسعادة لعودتي إلى بيتي . وكان جسمي ساخنا جدا ، وكان
الفرق يتصطب منه ويتساب على قواعي ، فقد ركضت بأسرع
ما استطعت ، ولم أكن أستشيق ما يكفي من الهواء .

يسكن جو غرين ! كان صغيرا ضئيل الجسم ، ولم يسمع له الوقت
لتعلم كل شيء ، وكان يمكن لوالديه أن يساعدوا إلا أنه لم يكن موجودا
في ذلك الوقت .

زعم ذلك فقد عمل جو غرين كل ما في استطاعته معي ، فقام بتدليك
قواعي وأجزاء من جسمي ، ولكنه لم ينجح البطء علي ، إذ اعتقد أن
جسمي ساخن وأني كنت بحاجة إلى هذا البطء ، وأني لي بكمية من
الماء لأشرب . وكان الماء باردا ومتعبا فشربته كله ، ثم قدم لي الطعام
فأثلا : « الآن يمكنك أن تنام . » ثم تركني وانصرف .



عندما وصل جون وجدني مريضا . وكان قد عاد سائرا على قدميه ،
ولكنه جاء ليروي قور عودتي إلى البيت . وكنت راقدًا على الأرض ،
فجلس إلى جانبي وقال لي :

« أهذا أليستكمين ، ماذا فعلنا بك ؟ »

لم أستطع أن أخبره بحالي ولكنه عرف بنفسه ، فغطاني بغطاءين لور
فلاية ، وأسرع إلى البيت ليحضر بعض الماء الساخن ويعد لي شرايبا
مناسبا . وكان يقول غاضبا : « ياله من غلام غبي ! لم يغط الجواد بأي

غطاء ، وَقَدَّمْ لَهُ مَاءً بَارِدًا لِشَرَبِهِ ١

عَالِمٌ مِنَ الْمَرْضَى أَكْثَرَ مِنْ أَشْبُوح . وَكَانَ جُونُ يَقْضِي مَعِيَ عِدَّةَ سَاعَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَأْتِي لِيَرَانِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كُلَّ لَيْلَةٍ . وَكَانَ السَّيِّدُ غُورْدُونُ يَأْتِي إِلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ أَيْضًا . وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَ لِي : « يَا جَوَادِي الْجَمِيلَ ، لَقَدْ أَفْقَذْتُ زَوْجَتِي . نَعَمْ ، لَقَدْ أَفْقَذْتُ حَيَاتَهَا ١ »

وَكَمْ سَعِدْتُ لِسَمَاعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ ، فَقَدْ كُنَّا جَمِيعًا لِمُحِبِّ زَوْجَةِ السَّيِّدِ غُورْدُونِ .

حَتَّى الطَّبِيبُ هَوَانِتُ جَاءَ بِنَفْسِهِ لِيُزَوِّرَنِي ذَاتَ مَرَّةٍ اثْنَاءَ وُجُودِهِ فِي الْمَرْزَعَةِ ، وَزَيَّتْ عَلَيَّ وَهوَ يَقُولُ لِيحُونُ : « إِنَّ الْفَضْلَ فِي بَقَاءِ زَوْجَةِ السَّيِّدِ غُورْدُونِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ لِلْيَوْمِ إِذَا تَرَجَّعَ إِلَى هَذَا الْجَوَادِ الْجَمِيلِ الَّذِي أَحْضَرَنِي إِلَى هُنَا بِسُرْعَةٍ ١ »

سَمِعْتُ جُونُ يَقُولُ لِلْسَّيِّدِ غُورْدُونِ : « لَمْ أَرْ فِي حَيَاتِي جَوَادًا يَغْدُو بِمِثْلِ السَّرْعَةِ الَّتِي كَانَ يَغْدُو بِهَا الْجَمَالَ الْأَسْوَدُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ ، حَتَّى إِذَا ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَانَ يَتَرَفَّ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ١ »

كُنْتُ أَتَرَفُّ بِالْفِعْلِ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، إِذْ كُنْتُ أَتَرَفُّ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ آخُذَ جُونُ إِلَى هُنَاكَ بِأَسْرَعِ مَا اسْتَطَاعَ ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ أَجْلِ زَوْجَةِ سَيِّدِي الْعَزِيزَةِ .

الفصل الثاني عشر

التيقال آخر

كُنْتُ سَعِيدًا طَوَالَ إِقَامَتِي فِي الْمَرْزَعَةِ لِمُدَّةِ عَامٍ آخَرَ ، حَتَّى حَدَثَ شَيْءٌ أَخْرَجَنِي : لَقَدْ تَخَسَّسْتُ صِبْغَةَ زَوْجَةِ السَّيِّدِ غُورْدُونِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ تَسْتَرِدَّ صِبْغَتَهَا إِلَّا لِصِبْغَةٍ أُسَابِغٍ قَلِيلَةٍ ، فَتَصَحَّ الطَّبِيبُ بِأَنَّهُ تَذَهَّبَ لِعَيْشٍ فِي مَنَاطِقِ جَانِبِ جَنُوبِ فَرَنْسَا . وَأَعْلَنَ السَّيِّدُ غُورْدُونُ عَنْ عَزِيمِهِ عَلَى الْإِيقَالِ مِنْ الْمَرْزَعَةِ إِلَى هُنَاكَ .

خَرَجْنَا جَمِيعًا لِسَمَاعِ ذَلِكَ الْخَبَرِ ، وَكَانَ السَّيِّدُ غُورْدُونُ نَفْسُهُ يَتَلَمَّحُ غَيْرَ سَعِيدٍ ، إِلَّا أَنَّهُ بَدَأَ يُجْرِي الْأَسْبَغَاتِ اللَّازِمَةَ لِلْإِيقَالِ . وَسَمِعْنَا الْكَثِيرَ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي كَانَتْ تَدُورُ فِي الْخَطِيرَةِ حَوْلَ هَذَا الْمَوْضُوعِ . وَخَرَجَ جُونُ خَرَجًا شَدِيدًا ، وَتَوَقَّفَ جُونُ قَرِيبًا عَنِ الْغِنَاءِ اثْنَاءَ الْعَمَلِ كَعَادَتِهِ .

وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَتِ ابْنَتَا السَّيِّدِ غُورْدُونِ بِرُؤْيَا الْفَرَسِ بِرِيَالِخِرٍ لَاحِظَةً مَرَّةً قَبْلَ رَحِيلِهِمَا ، وَبَكَيْنَا طَوِيلًا ، وَقَالَا لَهُ :

« سَوْفَ تُكُونُ سَعِيدًا يَا صَدِيقُنَا الْعَجُوزُ . إِنَّ الْوَدَانَ سَيُعْطِيكَ السَّيِّدُ غُورْدُونُ جَارَانًا ، وَاسْتَقُومَ بِحِمْلٍ زَوْجَتِهِ مِنْ مَكَانٍ لِأَخَرٍ ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَقُومَ بِأَيِّ أَعْمَالٍ شَائِعَةٍ . وَسَوْفَ يُرَافِقُكَ جُونُ ، وَسَيَكُونُ السَّائِسَ الْأَسْتَوَّلَ عَلَيْكَ هُنَاكَ . وَسَوْفَ تَرَى أَيْضًا الْجَمَالَ الْأَسْوَدَ وَجَنَاحَيْهِ بَيْنَ وَقْتِ زَائِعَةٍ ، فَقَدْ يَأْغِيهِمَا الْوَدَانَ إِلَى لُورْدَ وَيَسْتَلِذُّ صَاحِبُ الْمَرْزَعَةِ الْمُجَاوِرَةِ لَنَا ١ »

أَبْدَى السَّيِّدُ غُورْدُونَ اسْتِعْدَادَهُ لِمُسَاعَدَةِ جُونِ فِي الْخُصُولِ عَلَى غَمَلٍ
فِي مَكَانٍ مُنَاسِبٍ . وَلَكِنَّ جُونِ رَغِبَ فِي الْفِتْنَانِ مَدْرَسَةٍ لِتَدْرِيبِ صِبَا
الْخَيْلِ ، وَقَالَ :

« إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْخَيْلِ تَتَدَرَّبُ بِطَرِيقَةٍ مُخِيفَةٍ . إِنَّ الْخَيْلَ أَصْدِقَانِي ، وَهِيَ
لُجْبُنِي ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهَا سَوْفَ تَعْلَمُ بِشَكْلِ أَفْضَلِ إِذَا تَوَلَّى تَعْلِمَهَا شَخْصٌ
زَفِيقٌ بِهَا ، وَسَوْفَ أَعْلَمُ الْخَيْلَ بِطَرِيقَتِي الْخَاصَّةِ . »

عَلَّقَ السَّيِّدُ غُورْدُونَ قَائِلًا : « أَنَا لَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْقِيَامِ
بِهَذَا الْعَمَلِ ، فَالْخَيْلُ لَا تَمِيلُ إِلَيْكَ فَحَسَبْ ، بَلْ إِنَّهَا تُحِبُّكَ جُأْ جُأً ، وَإِنْ
كَانَ يُخَرِّجُنِي أَنْ أَفْقِدَ صَدِيقًا بِمِثْلِكَ . »

أَعِيرًا جَاءَ يَوْمًا الْأَخِيرُ هُنَاكَ فِي الْمَرْزَعَةِ ، فَتَوَلَّى أَنَا وَجَنْجَرُ جَرَّ الْعَرَبِيَّةَ
إِلَى الْبَيْتِ لِأَجْرِ مَرَّةٍ . وَقَدْ وَقَفَ كُلُّ مَنْ يَعْمَلُ بِالْبَيْتِ عِنْدَ الْبَابِ فِي الزَّوْقِ
الَّذِي تَزَلُّ فِيهِ السَّيِّدُ غُورْدُونَ حَامِلًا رُوحَهُ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ ، وَانْخَرَطُوا جَمِيعًا
فِي الْهَكَامِ عِنْدَمَا تَحَرَّكْنَا مُتَبَعَيْنَ عَنْ الْبَيْتِ .

الفصل الثالث عشر

مَرْزَعَةُ اللَّوردِ

جَاءَ جُونُ فِي الْيَوْمِ أَشَالِي لِيرَانَا ، وَاصْطَلَحَ بِمِرْيَلَةٍ إِلَى مَنَزِلِ عَائِلَةِ غُودِ ،
وَرَكِبَ جُونُ جَنْجَرَ وَفَازَنِي إِلَى مَرْزَعَةِ اللَّوردِ . كَانَ بِالْمَرْزَعَةِ بَيْتٌ كَبِيرٌ .
وَعِنْدَ وَصُولِنَا إِلَى الْخُطَايِرِ سَأَلَ جُونُ عَنْ السَّيِّدِ يُورِكِ رَئِيسِ السَّائِقِينَ
وَالْعَامِلِينَ بِالْخُطَايِرِ . وَلَمَّا تَقَدَّمَ نَظَرُ إِلَيْنَا وَقَالَ لِنُجُونِ :

« إِنَّ الْجَوَادِينَ يَتَدَوَّنُ فِي حَالَةٍ طَيِّبَةٍ . وَلَكِنَّ الْجِيَادَ يَخْتَلِفُ دَائِمًا بَعْضُهَا
عَنْ بَعْضٍ . هَلْ لَكَ أَنْ تُخَدِّقَنِي عَنْ هَذَيْنِ الْجَوَادِينَ ؟ »

قَالَ جُونُ : « حَسَنًا ! لَيْسَ هُنَاكَ أَفْضَلُ مِنْهُمَا فِي كُلِّ الْمَحَاءِ أَلِيَادٍ ،
وَلَكِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا يَخْتَلِفُ عَنْ الْأُخَرِ . فَالْجَمَالُ الْأَسْوَدُ مَثَلًا لَا يَتَعَرَّفُ
الغَضَبُ أَوْ الْخَوْفُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْ أَنْ عَامَلَهُ أَحَدٌ بِقَسْوَةٍ طَوَالَ حَيَاتِهِ . أَمَّا
جَنْجَرُ فَلَمْ يَكُنْ هَذَا حَالَهَا عِنْدَمَا جِئْنَا بِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ . كَانَتْ تَمِيلُ دَائِمًا لِلْغَضَبِ
وَالرَّفْسِ ، إِذْ يَتَدَوَّنُ أَنَّهَا عَاشَتْ حَيَاةَ تَعَسُّ قَبْلَ أَنْ تُصِلَ إِلَيْنَا . أَمَّا الْآنَ فَإِنَّهَا
قَدْ تَغَيَّرَتْ كَثِيرًا فِي مَرْزَعَةِ السَّيِّدِ غُورْدُونَ . فَقَدْ كُنَّا نَعَامِلُهَا دَائِمًا بِرِفْقٍ ،
لِهَذَا كَانَتْ عَلَى مَا يُرَامُ طَوَالَ السَّنَوَاتِ الْثَلَاثِ السَّاضِيَةِ . وَلَكِنِّي أَخَشَى
أَنْ تَعُودَ إِلَى حَالِهَا السَّيِّئَةِ الَّذِي كَانَتْ عَلَيْهَا إِذَا عُوْبِلَتْ مُعَامَلَةً قَاسِيَةً مَرَّةً
أُخْرَى . »

قَالَ يُورِكُ : « سَوْفَ أُخْرِصُ عَلَى أَنْ أَتَذَكَّرَ هَذَا دَائِمًا وَلَكِنَّ عِنْدِي عِنْدًا
كَبِيرًا مِنَ السُّوَّاسِ وَالسَّائِقِينَ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرِيقَهُمْ كُلَّهُمْ طَوَالَ الزَّوْقِ . »

عندما هم جوف بالانصراف قال السيد يوزك : « أود أن أعرفك أنه لم يبق لنا أن استخدما في مزرعة السيد غوردون ذلك النوع من سيور اللجام الذي تربط شكيمة الجواد ويثبتها إلى السرج . لأن ذلك يضيق الجواد ، وإن كان يجعله يبدو أجمل شكلا . »

قال يوزك : « ولكننا نستخدم هذا النوع من سيور اللجام هنا ، وإن كنت أنا شخصيا لأحب . ولورد ويستلاند رقيق بالجمال ، ولكن السيدة زوجته تفضل عتة ، فهي تحب أن ترى كل شيء في أجمل صورة ، لهذا فأنها تفضل على استخدام هذا النوع من سيور اللجام في جواد عربتها ، لأنها تجعل رؤوس الجواد مرفوعة دائما ، فضلا عن أن هذه هي الطريقة المفضلة هنا مع الجياد . ولهذا فإنه لا مفر من استخدامي . »

تقدم جون لحونا وزيت على كل منا ، وتكلم معنا بعض الوقت لأجر مرة ثم انصرف . وقد خرجنا جدا لفرقة .

في اليوم التالي جاء لورد ويستلاند ليرانا . قال يوزك : « إن غوردون قال لي إنهما جوادان ممتازان ، وهما يتدوان كذلك بالفعل . ولكننا لا نستطيع أن نجعل العربات تجرها جوادان أحدهما أسود والآخر بني اللون . قد يكون هذا لا أيضا هناك ، أما هنا فلا نستطيع أن نركب العربات على هذا النحو . »

قال له يوزك إن جون قد كلمه بشأن ذلك النوع من سيور اللجام الذي يثبت الشكيمة بالسرج . فأجابته اللورد ويستلاند قائلا :

« حسنا ، استخدم عليه السيور مع الجوادين ، ولكن ارفعها بين وقت

والآخر ، وستوف أنكلتم مع زوجتي بشأنها . »

تعد الظاهر ثم تجهيزنا ورطبنا بالسيور في العربة ، ثم قادنا السائس إلى واجهة المنزل . وكان منزلا كبيرا جدا ، وأكثر من منزل السيد غوردون كثيرا ، ولكنه لم يعجبني .

خرجت زوجة اللورد ويستلاند من البيت ودارت حولنا تنظر إلينا . ويبدو أن شيئا ما أثار استياءها ، ولكنها لم تقل شيئا ، بل صعدت إلى العربة . ولمسا يوزك بطرف السوط فاطلقنا نسير بالعربة .

لم يبق أن استخدم هذا النوع من سيور اللجام معي ، وأغني به تلك التي تربط الشكيمة بالسرج . ولكن على أية حال لم يكن الأمر بالغ السوء ، وكنت أسير فوق أرض مرفوعة الراس بفعل تلك السيور ، إلا أنها لم تكن تسمح لي بأن أخفض رأسي . وكنت أخشى أن تغضب جنح ، ولكنها كانت على ما يرام .

في نفس اليوم التالي زفنا مرة أخرى أمام البيت ، وعندما خرجت السيدة لتركب العربة قالت يوزك :

« عليك يا يوزك أن تشد السيور بحيث يرتفع رأس الجوادين لأعلى . إلى أن أركب عربة تجرها جياد بهذا الشكل . »

نزل يوزك من العربة قائلا : « أرجو ألا تغضبيني يا سيد . إن هذين الجوادين لم يعلما هذا النوع من السيور من قبل ، كما أن اللورد يستلاند

طَلَبَ بَنِي أَنْ تُخَفَّفَ مِنْ رِبْطِ السُّيُورِ بَيْنَ وَفَيْتٍ وَآخَرٍ . حَلَّ ثَرَعَيْنَ فِي أَنْ
أَشْلَعَهَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؟ »

أَجَابَتْ : « نَعَمْ . »

تَقَدَّمَ يُوزُوكُ لِنُحُورِ رَأْسَيْهَا ، وَقَصَّرَ السُّيُورَ بِمَسَافَةٍ ثَقِيْلٍ وَاجِدٍ عَلَى
مَا اغْتَفَدُ .

وَعِنْدَمَا وَصَلْنَا إِلَى أَحَدِ الْكَلَالِ رَغَبْنَا فِي أَنْ نُخَفِّضَ رَأْسَيْنَا قَلِيلاً حَتَّى
نَسْتَطِيعَ جَرَّ الْعَرِيَةِ بِقُوَّةٍ أَكْثَرَ ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ السُّيُورَ حَالَتْ دُونَ ذَلِكَ ، وَمِنَا
الْقَى بِكُلِّ الْعَبْدِ عَلَى ظَهْرِنَا وَقَوَائِمِنَا ، فَقَالَتْ لِي جَنْجَرُ :

« حَلَّ تَرَى كَيْفَ صَارَتِ الْأُمُورُ ؟ إِنَّ الْأَمْرَ بَالِغُ السُّوءِ . إِنْ كُنُوا عَنْ شِدَّةِ
هَذِهِ السُّيُورِ ، فَلَنْ أَظْهَرَ أَسْيَاءَ ، لِأَنَّهُمْ يَبْدُونَ كَثِيرًا مِنْ الْعَطْفِ عَلَيْنَا هُنَا ،
أَمَّا إِذَا شَدُّوْهَا أَكْثَرَ فَإِنَّنِي سَتَوْفَ أَتَصَرَّفُ تَصَرُّفًا سَيِّئًا . أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ
شَرِيرَةً ، وَلَكِنَّ هَذِهِ السُّيُورَ تَحْرِقُ عَظْمِي جِدًّا . »

الفصل الرابع عشر جَنْجَرُ تَبْدَأُ فِي الرَّفْسِ

ذَاتَ يَوْمٍ أَقْبَلَتْ زَوْجَةُ اللَّوْرْدِ وَيَسْتَلَانْدُ وَهِيَ تُرِيدُ مَلَابِسَ فَايْجَرَ ،
وَقَالَتْ لِيُوزُوكَ :

« قَدْ الْعَرَبَةُ إِلَى مَنْزِلِ اللَّيْدِي رِيْشْمُونْدَ . » وَلَكِنَّهَا لَمْ تَصْعَدُ بَعْدَ ذَلِكَ
إِلَى الْعَرِيَةِ بَلْ قَالَتْ : « أَلَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا حَتَّى يُصْبِحَ رَأْسَا هَذَيْنِ الْجَوَادَيْنِ
مَرْفُوعَيْنِ ؟ إِفْعَلْ شَيْئًا . عَلَيْكَ أَنْ تُشَدَّ هَذِهِ السُّيُورَ عَلَى الْفُورِ . »

تَقَدَّمَ يُوزُوكُ إِلَيَّ أَوَّلًا ، وَجَذَبَ رَأْسِي إِلَى الْخَلْفِ ، فَالْمَشَى السُّيُورُ فِي
رَقَبَتِي ، وَخَرَجَتْ الشُّكْمَةُ فَمَعَى . ثُمَّ أَتَتْهُ إِلَى جَنْجَرُ وَتَبَدَّأَ يَقْعُلُ نَفْسَ
أَلْشَيْءِ مَعَهَا ، إِلَّا أَنَّهَا شَبِثَتْ وَاقْفَتْ عَلَى قَائِمَتَيْهَا الْخَلْفَتَيْنِ ، وَأَرْجَعَتْ أَذُنَيْهَا
إِلَى الْخَلْفِ ، وَامْتَلَأَتْ عَيْنَاهَا بِالْغَضَبِ الشَّدِيدِ ، ثُمَّ تَبَدَّأَتْ تُرْفَسُ ، بَلْ
وَحَاوَلَتْ الْإِفْلَاحَ مِنَ الْعَرِيَةِ ، وَلَمْ يَفْلَحْ يُوزُوكُ وَالسَّائِرُ فِي إِيقَافِهَا .
وَأَخِيرًا إِشْتَبَكَتْ قَوَائِمَهَا فِي الْعَيْنِ فَسَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ ، وَعِنْدَئِذٍ جَلَسَ
يُوزُوكُ عَلَى رَأْسِ جَنْجَرُ وَنَادَى السَّائِرِينَ لِيُحْضِرَ لَهُ سِكِّينًا حَتَّى يَقْطَعَ بِهَا
السُّيُورَ . وَعَادَتْ زَوْجَةُ اللَّوْرْدِ وَيَسْتَلَانْدُ أَذْوَاجَهَا إِلَى دَاخِلِ الْمَنْزِلِ .

أَصِيبَتْ جَنْجَرُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ جَسَدِهَا ، وَكَانَتْ غَاضِبَةً كُلَّ الْغَضَبِ
وَمُسْتَعِدَّةً لِلرَّفْسِ وَالْعَصْرِ . وَلَمْ يَسْجِعْ أَلَوْفُ لِأَحَدٍ لِيَهْنَمَ بِأَمْرِي ، فَظَلَلْتُ فِي
مَكَانِي قَرَّةَ طَوِيلَةٍ وَرَأْسِي مُشْدُودٌ لِلْخَلْفِ ، وَالشُّكْمَةُ تُؤَلِّمُنِي فِي فَمِي ،
حَتَّى جَاءَ يُوزُوكُ أَخِيرًا وَقَلَّ هَذِهِ السُّيُورَ وَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قَائِلًا :

«لماذا يجب علينا أن نستخدم هذه السيور؟ إنها ثني إلى الجهاد،
فضلاً عن أنها تجعل مهمتنا شاقة، كما أن اللورد ويستلاند منوف يستاء
بشي لا بشيء إلا لأنني نفذت تعليمات السيدة روجيه. ولكن كيف لي أن
أغصي لها أمراً؟»

لم نستخدم جنجر لبحر القرية بعد ذلك طوال وجودها في مزرعة اللورد
ويستلاند. فمتى ما تحسرت حالها أخذها أصغر أبناء اللورد ليرتكبها.

أما أنا فظلمت أعمل في بحر القرية طوال أربعة أشهر. وكانت تلك
السيور تؤلمني يوماً بعد آخر. وكان يراملني في العمل جواد عجوز اسمه
ماكس أخضروه من حظائر اللورد ويستلاند الأخرى. وسألت ماكس ذات
يوم: «لماذا علينا أن نتحمل هذا الألم؟»

أجابني: «إن هذه هي طريقة سكان مدينة لندن. إنهم قوم أغنياء، ولذا
يجب أن تظل جياد الأغنياء مرفوعة الرؤوس. لقد تسبب هذا في مرضي،
وسأموث قريباً، بل ستموت أنت أيضاً قبل أن تصبح عجوزاً لو استمررت في
استخدام هذه السيور معك كل يوم. إنهم خمنى، أليس كذلك؟»

الفصل الخامس عشر

السائس ريوين سميث

في شهر أبريل توجه اللورد ويستلاند وزوجته إلى منزلهما في العاصمة
لندن، واستطعبا معهما يوزك. أما أنا وبنجر وبعض الجياد الأخرى فتبقينا
في المزرعة مع أبنائهما وأصديقائنا. وعندما غيب يوزك عن الخطايا
تولى أمرها شخص يدعى ريوين سميث، وكان سابقاً ممتازاً و سائساً ماهراً.
كان يحب الجياد، والجياد تحبه، ولكن لماذا ظل يعمل سائساً ولم يعمل
سابقاً مثل يوزك؟ هذا هو ما أخبرني به ماكس:

كانت ثناب ريوين سميث ثوبك عصبية. أما في الأوقات العادية، فبأنه
يؤدي عمله على خير وجه. لقد كان يتعجب بحب الجميع، أما عندما تنشأه
هذه الثوبات فإنه يصبح شخصاً آخر.

قال يوماً يوزك: «إنني لن أستطيع أن أتحكم في نفسي عندما تصيبني
هذه الثوبات». ولهذا كان يوزك يحشى أن تستد إلى سميث مهمة السائق
الأول بالخطايا في الأوقات التي يتعجب فيها.

ذات يوم رغب أصغر أبناء اللورد ويستلاند في التوجه إلى لندن، فقال
لسميث: «سوف أستقل القطار من هارتفورد، وأود أن تقود القرية
وتأخذني إلى هناك. وسوف تترك القرية هناك حتى يتولى صانع الغربات
إصلاحها وتركيب عجلة جديدة بها. لذا عليك أن تحضر معك سرجاً آخر
حتى تعود إلى البيت معظيلاً صهوة الجمال الأسود.»

فأدبني ربوبين سميت إلى صانيع الغرائب، ثم وضع السرج على ظهري
وزكبنني لأذهب به إلى فئدق يسمى « فئدق الحصان الأبيض » وهناك طلبت
من السائس أن يقدم لي طعاما جيدا . كما طلبت منه أن يجهزني بحيث أكون
مستعدا للتحرك في الساعة الرابعة . ثم شاهدته يلتقي بنعض أصيغائه القدامى
عند باب الفئدق . لذا فإنه خرج من الفئدق في حوالي الخامسة ليبلغ
السائس أنه لن يتصرف قبل السادسة .

كان السائس قد لاحظ أن الثقل (الخلوة) المركبة بحافري الأيمن
الأمامي على وشك أن تسقط، فسأل ربوبين سميت إذا كان يرغب في أن
يغيرها لي فقال له : « لا ! لا اعتقد أنها سوف تسقط قبل أن نعود إلى
البيت . »

لم يكن هذا مائتوذا أن نسمعه من ربوبين سميت . فقد كان يحرص
دائما على تغيير كل ثقل إذا اقتضى الأمر ذلك . كما كان يحرص دائما على
أن تكون في حالة جيدة، ومن ثم فإن كلماته أثارت دهشتي . وقد ضايقني
هذا كثيرا .

لم يغازر سميت الفئدق في السادسة، ولا حتى في السابعة أو الثامنة
وإنما خرج في التاسعة وسط ضوضاء وضجيج، وصاح بالسائس طالبا منه
أن يحرص له جواده . وكان مستاء من السائس بسبب لم أتيت، وغاضبا من
كل من في الفئدق .

قل أن نترك المدينة ندأ بضرابي بالسوط، ولم يكف عن ضربني حتى
عندما بدأت أعدو بكل سرعة .

لم يطلع الفئدق تلك الليلة، لذا كانت الدنيا ظلاما، ولم أستطع أن أتبين
طريقي بوضوح وكان مملوءا بالحجارة، وسقطت الثقل (الخلوة) بي .
ولم يكف سميت عن ضربني بالسوط، أو عن الصراخ . ولم أذكر السبب
في ذلك : لا بد أن إحدى الثوابت العنصرية قد انتهت الآن وإلا كان أدرك أن
الثقل قد سقطت بي .

كان الطريق وعرًا، ورغم هذا جعلني أعدو بأقصى سرعة . وكانت
الأحجار تنجرح قوائمي، وخاصة تلك التي سقطت منها الثقل .

أعيضا وقفت على الأرض . ولما كنت في ذلك الوقت أعدو بسرعة
فائقة، فقد طار سميت من فوق رأسي، وسقط على الأرض دون حراك،
ورغم أن قوائمي قد أصيبت بسبب سقوطي إلا أنني نهضت واقفا والتفت
جانب الطريق، ووقفت منتظرا .



الفصل السادس عشر سوق الجياد

وَقَفْتُ فِي مَكَانِي مُنْتَظِرًا فِتْرَةً طَوِيلَةً ، حَتَّى سَجَعْتُ أَخِيرًا مَا كُنْتُ فَلَدِمَا يَجْرُ الْعَرَبَةُ ذَاتَ الْعَجَلَتَيْنِ ، فَادْبَعَتْهُ وَأَجَانَنِي . وَكَانَ بِالْعَرَبَةِ اثْنَانِ مِنَ عُمَالِ الْخَطِيرَةِ قَدِمَا لِلْبَحْثِ عَنْ سَمِيثٍ ، فَفَقَزَا أَحَدُهُمَا وَاتَّجَعَ إِلَى حَيْثُ كَانَ سَمِيثٌ يَرْتَفِدُ بِهَا خَرَائِكَ عَلَى فَارِعَةِ الطَّرِيقِ ، وَقَالَ : « إِنَّهُ سَمِيثٌ ، وَجَسَدُهُ بَارِدٌ . إِنَّهُ مَيِّتٌ ! »

أَمَّا زَمِيلُهُ فَتَزَلَّ مِنَ الْعَرَبَةِ وَاتَّجَعَ تَحْوِي ، وَ عَلَى ضَرْوَةِ مَصَابِيحِ الْعَرَبَةِ شَاهَدَ الْجُرُوحَ الْبَلِيغَةَ الَّتِي أَصَابَتْ قَوَائِمِي ، فَقَالَ : « لَقَدْ سَقَطَ الْجَمَالُ الْأَسْوَدُ . إِنَّهُ مَا كُنَّا نَظُنُّ نَوْمًا أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَسْقُطَ أَرْضًا ، فَمَادَا حَدَثَ ؟ »

حَاوَلَ أَنْ يَقْرُدَنِي لَحْوُ الْعَرَبَةِ وَلَكِنِّي كِدْتُ أَنْ أَقَعَ مَرَّةً أُخْرَى ، فَقَالَ لِزَمِيلِهِ : « إِنَّ قَدَمَ الْجَمَالِ الْأَسْوَدِ فِي حَالَةٍ بِالْعَةِ أَلْسُو . انْظُرْ ! لَيْسَ بِهَا ثَقُلٌ . إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَبِيعَةِ سَمِيثٍ أَنْ يَرْتَكِبَ جَوْلًا بِلا ثَقُلٍ . اُحْشَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصِيبَ بِتَوْبَةٍ عَصِيْبَةٍ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ . »

حَمَلًا جَنَّةً رَمَوْا سَمِيثَ إِلَى الْعَرَبَةِ ذَاتِ الْعَجَلَتَيْنِ ، وَ تَوَلَّى أَحَدُهُمَا قِيَادَةَ الْعَرَبَةِ إِلَى مَزْرَعَةِ اللُّورْدِ . أَمَّا الرَّجُلُ الْآخَرُ فَقَدْ لَفَّ قَدَمِي السَّعَابَةَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْقَمَاشِ ، وَقَادَنِي لِأَسِيرَ فَوْقَ الْجَانِبِ الْمُغْشَبِ مِنَ الطَّرِيقِ . وَكَانَتْ الْجُرُوحُ الَّتِي فِي قَوَائِمِي تُؤَلِّمُنِي طَوَالَ الْوَقْتِ لَكِنِّي وَصَلْتُ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْبَيْتِ .

كَانَ عُمَالُ الْخَطِيرَةِ يَذْلُونَ كُلَّ جُهْدِهِمْ لِمُسَاعَدَتِي ، وَلَكِنِّي حَالَتِي الصَّخِيَّةَ لَمْ تَحْسُنْ لِعِلَّةِ أَسَابِيغِ ، وَكَانَتْ الْجُرُوحُ فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ . وَلَكِنَّا تَمَكَّنْتُ مِنَ السَّيْرِ بَعْدَ ذَلِكَ تَقْلُوبِي إِلَى خِفَلٍ صَغِيرٍ ، وَهُنَاكَ - وَبَعْدَ مُضِيِّ أَسَابِيغٍ - مَلَأَ بَعْضُ التَّحَسُّنِ عَلَى قَوَائِمِي . وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ جَاءَ اللُّورْدُ وَيَسْتَلَانِدُ وَنَعْمَةُ يُوْرْكُ ، وَ تَقَفَزَا إِلَى قَوَائِمِي . وَكَانَتْ الْجُرُوحُ قَدْ تَحَسَّنَتْ إِلَّا أَنَّهُا تَرَكَّتْ بَعْضَ الْآثَارِ .

سَأَلَ اللُّورْدُ يُوْرْكُ : « أَلَنْ تَزُولَ آثَارُ هَذِهِ الْجُرُوحِ أَبَدًا ؟ »

أَجَابَنِي : « لَا يَا سَيِّدِي لَنْ تَزُولَ . »

اِسْتَأْنَى اللُّورْدُ وَقَالَ : « يَجِبُ إِذَا أَنْ لَبِغَهُ ، فَأَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أُخْصِفَ فِي عَظَائِمِي بِجَوَادِ مَشْوَرَةِ الْقَوَائِمِ . إِنَّهُ خَيْرٌ جَدًّا لِذَلِكَ ، فَصَدَّقَنِي عَوْدَتُونَ كَانَ يَزِيدُ أَنْ يَجِدَ جَوَادَهُ الْجَمَالَ الْأَسْوَدَ السَّعَادَةَ فِي بَيْتِي ، وَهَئِنْدَا أُجِدُ نَفْسِي مُضْطَرًّا إِلَى بَيْعِهِ . »

فِي الْيَوْمِ الَّذِي تَقَامُ فِيهِ سُوقُ بَيْعِ الْجِيَادِ أُجِذْتُ إِلَى هُنَاكَ ، حَيْثُ جَاءَ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ وَفَخَّصُونِي . وَقَدْ انْصَرَفَ الْأَغْنِيَاءُ مِنْهُمْ بِسُجُودٍ أَنْ لَا يَخْطُوا بِتِلْكَ الْآثَارِ فِي قَوَائِمِي . وَطَافَ آخَرُونَ خَوْلِي ، وَفَتَحُوا فَمِي ، وَنَظَرُوا فِي عَيْنِي ، وَمَرُّوا بِأَيْدِيهِمْ عَلَى قَوَائِمِي ، وَجَعَلُونِي أَسِيرًا وَارْتَكُضَ . وَكَانَتْ أَيْدِي بَعْضِهِمْ قَاسِيَةً عَلَيَّ ، إِذْ لَمْ أَكُنْ بِالنَّسَبَةِ لَهُمْ سِوَى حَيَوَانٍ شَقِيلٍ . لَكِنِّي آخَرِينَ كَلَّمُونِي وَتَحَسَّسُونِي بِأَيْدِيهِمْ فِي رَفْئِي وَرَبَّنَا عَلَيَّ وَحَاوَلُوا أَنْ يَغْرِقُوا الْعَرَبَةَ عَلَيَّ .

أجابهُ البائعُ قائلاً : « وأنا سأقتلُ منك الأربعةَ والعشرينَ جنيهاً ،
وَسَتَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ حَصَلْتُ عَلَى جَوَادٍ مُنْتَارٍ مُقَابِلَ نُقُودِكَ ، خُصُوصاً إِذَا
كُنْتُ تُرْعِبُ فِي اسْتِخْلَامِهِ لِحُزْرَ عَرَبَاتِ الْكَوْبِ ، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ فِيهِ مَا
يُرْضِيكَ . »

بَعْدَ أَنْ دَفَعَ سَيِّدِي الْجَدِيدُ الثَّقُورَةَ قَاضِيً إِلَى أَخِيهِ الْفَنَاقِي ، وَهُنَاكَ أَتَى لِي
بِسُرُوحٍ وَقَدَمَ لِي طَعَاماً جَيِّداً . وَسِيرْنَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي طَرِيقِنَا إِلَى الْكَدَدِ .



وَقَدْ أُخْبِيتُ رَجُلًا تَلَمَّسْتُ فِيهِ الرُّقَّةَ ، وَاعْتَفَقْتُ أَنِّي سَأَكُونُ سَعِيدًا
مَعَهُ .

كَانَتْ لِهَذَا الرَّجُلِ رَاحَةٌ ذَكِيَّةٌ ، وَأُذِرْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ الْخَيْلَ ، وَأَنَّهُ
غُلُوفٌ عَلَيْهَا . وَكَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ضَيْلُ الْجَسَمِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ سَرِيعَ
الْحَرَكَةِ ، تَشْتَعُرُ بِأَلْوَدُ فِي لَمَسَاتِ يَدَيْهِ وَنَظَرَاتِ عَيْنَيْهِ .

قَالَ الرَّجُلُ : « سَأُدْفَعُ ثَلَاثَةَ وَعِشْرِينَ جَنِيهاً نَمَتًا لِهَذَا الْجَوَادِ . »

لَكِنِ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ يَبْغِي أَرَادَ الْخُصُولَ عَلَى الْمَزِيدِ فَقَالَ لَهُ : « إِذَا
قُلْتَ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ كَانَ الْجَوَادُ لَكَ . »

قَالَ الرَّجُلُ الضَّيْلُ : « أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ وَتَمَّ أَمْرُهُ عَلَيْهَا . »

الفصل السابع عشر

جواد جرّ عربات في لندن

كانت شوارع المدينة الكبيرة تمتلئ بالجياد والعربات ذوات العجلتين ، وكل ما يخطر ببالك من وسائل النقل . ورغم أن الوقت كان قليلاً فأنتي شاهدت على ضوئ المناسبات بالشوارع من الناس أكثر مما رأيت طوال حياتي .

بدأنا نسير في الشوارع القديمة بالعاصمة ، وأخيراً صاح سيدي بحبي شخصاً : « سجدت مساءً أيها الثقيب . » وكُنّا قد وصلنا إلى أحد الشوارع ، حيث شاهدت عددًا من عربات الركوب تقف جميعها في الإلتظار واحدة خلف الأخرى في موقف لعربات الركوب بالأخيرة . ردّ هذا الشخص الذي خيأه سيدي قائلاً : « أهلاً بك يا جيري . هل اشتريت جواداً ممتازاً ؟ »

أجابته : « نعم ، أعتقد ذلك . »

ردّ الثقيب قائلاً : « يستعديني مساءً ذلك يا جيري . أسمع الله مسألك . »

مررنا في شارع جانبي ، ومنه إلى شارع آخر به بعض البيوت الصغيرة البسيطة ، وغدو من الحظائر ومحالّ العربات ، ثم توقّف صاحب بيت من البيوت الصغيرة ، ونادى محابلاً سيّدة ، قائلاً : « أمارأت مستيقظة ؟ »



فُتِحَ البابُ وحُرِجَتْ منه امرأةٌ شابةٌ ومعها بنتٌ وَوَلَدٌ تصيحان في فرح مَرَحَيْنِ بسيدي وهو ينزل من فوق ظهري ، فبأذلهنّ التحيّة وقال : « هيا يا هاري افتح بابَ الحظيرة حتّى أَدْخِلَ الجوادَ فيها . »

دَخَلْنَا نَعْدَ ذَلِكَ إلى حظيرة صغيرة ، وكانت تلك المرأة تُمسِكُ مصباحاً بيدها ، والجميع ينظرون إليّ ، ثم سألتَ أليبت والدّها قائلةً : « هل هو جوادٌ مُمتازٌ يا والدي ؟ »

أجابها : « نعم يا دُوللي ، إنّه مُمتازٌ مثلك تماماً . ربّي عليّ . »

سَعَرْتُ يَدَ أليبت الصغيرة تُرَبُّتُ عليّ ، ولم تُكُنْ تَحْسِنُ بُنْي . وَأَذْرَكْتُ جَنَدِيّ أُنِّي سَوْفَ أُجِيبُهَا .

قالت المرأة : « ستوف أخضر لة بعض الطعام اللذيذ ، وعليتكم أن تقوموا بتذليكيه . »

أجابها جيري قائلا : « نعم هذا ما ستفعله جميعا . »

كان جيري يحب زوجته يولي ، وابته هاري الذي كان في الثانية عشرة من عمره ، وابنته دوللي . وكانت في الثامنة من عمرها . وكانوا قوما فقراء ، لأن أصحاب عربات الركوب لا يكسبون إلا القليل من المال . ولكنهم كانوا عطوفين ودودين .

كانت لجيري عربة الخاصة وجوادين . وكان أحدهما جوادا عجوزا أبيض اللون يدعى كاتين . وفي تلك الليلة حكى لي كاتين الكثير عن عمل جواد جر عربات الركوب في لندن ، فقال لي : « لا تستخدم لجر العربة سوى جواد واحد في كل مرة . كما أن صاحبنا يعمل مئة عشرة ساعة في اليوم طوال الأسبوع غذا أيام الأحد . أي أن كل جواد منا يعمل ثماني ساعات في اليوم . وزعم مشقة العمل فإن سيدي لا يقسو علينا أبدا . إن هناك العديد من أصحاب العربات الفساة ، ولكن جيري ليس واحدا منهم ، لذا منحه . »

خرج كاتين لجر العربة في الصباح . ولما عاد هاري من مدرسته قدم إلى الخطيرة ، وقدم لي بعض الطعام والماء . وعندما عاد جيري إلى البيت لتناول غداي تولت زوجته يولي تنظيف العربة ، كما عاون هاري

والدة في إعداد وتركيب طبق جر العربات فوق ظهره . وقد استغرق ذلك بينهما وقتا طويلا .

ولم يستعيل معي أي سيور من التي تشدني في السرج ، كما أن الشكيمة لم تؤلني .

قال جيري : « اظن أن الجواد سعيد بهذا . »

سألت زوجته : « ما اسم الجواد ؟ »

أجابها جيري : « إن الرجل الذي باعه لم يعرف له اسما ، لذا فإننا سنطلق عليه اسم جاك مثل الجواد السابق يا يولي . »

بهذا بدأت عملي كجواد لجر عربة للركوب في لندن ، وصار اسمي جاك .

الفصل الثامن عشر

جيري بازكر

إبطلنا إلى مربي جانبي ، ومنه توجهنا إلى مؤيف غربات الأجرة .
وأخذ جيري مكانه في آخر صف غربات الأجرة التي تقف في انتظار
دورها .

أقبل رجل ضخم الجثة يعمل سابقا لإحدى غربات الأجرة لمشاهدتي ،
وكان معه سابقان آخرون .

كان هذا الرجل هو من يطلبون عليه لقب «القيب» أي أقدم سائق
غربات الأجرة هناك . ونظر الرجل إلي وتحدث رقتي وجسمي
وقوالبي ، ثم قال :

«نعم ، هذا هو أفضل ما يتاسيك من الجياد يا جيري بازكر . حتى إذا
كُنت قد دفعت فيه مبلغا كبيرا ، فإلك أحسنت صنعا بشرايه .»

وجدت خلال بضعة أيام أن العمل كجواد يجر عربة ركوب في مدينة
لندن عمل شاق . فإلك المدينة الواسعة كانت شيئا جديدا بالنسبة لي ،
وذلك لما فيها من متوضاء وآلاف من الناس والجياد والغربات ، وكثير
من الأشياء التي لم أشعر معها بالسعادة خلال تجوالي بالشوارع . ولكنني
تبيئت أن جيري سائق ممتاز ، كما أنه لمس في استعداده للعمل بكل جد .
وبفضل هذا صارت العلاقة بيننا على مايرام .

لم يضرني جيري بالسقوط أبدا ، وكل ما كان يفعله هو أن يلجسي
بطرف السوط فقط ، وكأنه يقول لي : «هيا انطلق .»

وكُنت في معظم الأحوال أعرف ما يريد مني من الطريقة التي تحرك
بها العنان .

وكُنت أخطئ أنا والجواد كائين بكل عناية ، فكان جيري يقدم لنا طعاما
شهيا ، وكانت حظيرتنا نظيفة دائما .

كان يركب العربات أحيانا من يطلب من جيري أن يسرع في سيرة ، فكان
مجيئة دائما بقوله : «أنت قود أن تسرع لأنك كسول . كان يجب عليك أن
تبدأ رحلتك مبكرا ، حتى تستطيع أن تصل في موعيدك دون حاجة إلى أن
تسرع بك .»

لم يكن جيري يرضى أن تسرع جياده في خربها لمساعد هؤلاء الكسالي
حتى ولو عرضوا عليه أجرا كبيرا .

بعد أن تعودت على السير في شوارع لندن ، أصبحنا نستطيع أن نطلق
أسرع من معظم غربات الركوب الأخرى إذا أردنا .

كان جيري يقول لي وهو يربط علي : «نحن على استعداد لأن تسرع إذا
أقضى الأمر ذلك ، أليس كذلك يا جاك ؟»

كان يعرف أسرع الطرق المؤدية إلى المستشفيات في لندن وكنا في
بعض الأحيان نقطع الطريق إلى تلك المستشفيات في سرعة بالغة .

في يوم من الأيام المطيرة ، وبعد أن أوصلنا أخذ الركاب إلى الفندق
الذي ينزل به ، لقد كنت متبدة شابة تبدو عليها الفقر إلى جيري وتحدثت
معه . وكانت السيدة تحمل صبيًا بين ذراعيها ، وكانت عليه أمارات
المرض الشديد . سألت جيري قائلة :

« هل لك أن ترشدني إلى الطريق المؤدي إلى مستشفى الأطفال ؟ لقد
قدمت قوتي من الزيف ، ولا أعرف الكثير عن العاصمة ، ومعي تقرير
الطبيب لأقمتة لمستشفى الأطفال . وقد قال لي إن هذا المستشفى قد
يستطيع أن يقيّد ابني . »

أجابها جيري : « إن المسافة إلى المستشفى طويلة ولا تستطيعين أن
تقطعها سيرًا على الأقدام في هذا الجو المطير وأنت تحبلين هذا الصبي
بين ذراعيك . اصعدي إلى القرية ، وسأقُلك إلى المستشفى . »

قالت السيدة الشابة : « شكرًا لك ، ولكنني لا أستطيع أن أركب
القرية ، إذ ليس معي نفوذ لأدفعها لك . »

قال جيري : « من ذكر لك شيئًا عن النفوذ ؟ إنني أب ، وأحب
الأطفال . وعندما أقوم بتفليك ، سيكون في هذا ما يسعدني . أرجو أن
تركبي القرية . »

ساعد جيري السيدة على الصعود إلى القرية . وكانت تبكي ، فأخذ
يربّت على كتفها مهددًا ، ثم صعد إلى نكايه بالقرية وأمسك بالعنان قائلاً :

« لنظلمك يا جاك . »

عندما وصلنا إلى المستشفى ساعد جيري السيدة الشابة على النزول من
القرية والدخول من الباب الأمامي الكبير للمستشفى .

قالت السيدة لجيري : « أشكرك ! أشكرك ! إنك رجل طيب القلب ،
ورحيم . »

في تلك اللحظة خرجت إحدى السيدات من المستشفى وسبعت
كلمات السيدة الشابة فطلعت إلى ذلك الرجل الرحيم ، وما إن رآته حتى
صاحت : « جيري باكر ! »

الفصل التاسع عشر تغير آخر

فَمَا يَنْقُلُ بِلَاحِ السَّيِّدَةِ إِلَى مَحَطَّةِ السَّكَّةِ الْخَدِيدِ لِتَرْكَبَ الْقِطَارَ وَهِيَ تَدْعِي فَاوَلِرَ . وَقَدْ عَرَفَتْ بِلَاحِ السَّيِّدَةِ جِيرِي لِأَنَّ زَوْجَتَهُ يُولِي كَانَتْ تَعْمَلُ بِمَنْزِلِهَا فِي الرَّيْفِ . وَبَدَأَتْ هَذِهِ السَّيِّدَةُ تَسْأَلُهُ عَنْ زَوْجَتِهِ وَعَنِ ابْنِهِ هَارِي وَابْنَتِهِ ثُمَّ سَأَلَتْ : « كَيْفَ حَالُكَ يَا جِيرِي ؟ أَلَا يَرَى الْبَرْدُ يُؤْذِيكَ شَيْئًا ؟ » أَجَابَهَا : « نَعَمْ ، مَا زَالَ الْبَرْدُ يُسَبِّبُ لِي الْمَرَضَ ، وَقَدْ مَرَضْتُ مَرَضًا شَدِيدًا فِي شَهْرِ يَنَايرِ الْمَاضِي . »

قَالَتْ لَهُ السَّيِّدَةُ فَاوَلِرَ : « عَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ لِنَفْسِكَ عَنْ عَمَلٍ آخَرَ يَا جِيرِي . إِنَّكَ لَمْ تَعُدْ تَصْلُحُ لِلْعَمَلِ سَالِفًا بِغَرَبَاتِ الْأَجْرَةِ . »

أَجَابَهَا : « إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَجِدَ لِنَفْسِي عَمَلًا فِي الرَّيْفِ ، فَهُوَ أُنْسَبُ لِيُولِي وَابْنِي وَابْنَتِي ، وَلَكِنْ لَيْسَ أَمَامِي الْكَثِيرُ مِنْ فُرَصِ الْعَمَلِ بِالرَّيْفِ . »

كَانَ جِيرِي يَعْمَلُ شَيْئًا ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَكْفِي عَنْ الْعَمَلِ ، وَكَانَ هَذَا يَزِيدُ مِنْ مَرَضِهِ . وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ تَبْكِي كَثِيرًا لِهَذَا السَّبَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَتِهَا أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا .

وَبَعْدَ أَنْ انْطَبَحَتْ حُمَّى سَقَوَاتٍ فِي الْعَمَلِ كَحَوَادِ لِحَرْ غَرَبَاتِ التَّرْكُوبِ فِي الْعَاصِمَةِ ، حَدَثَ ذَلِكَ يَوْمَ أَنْ تَلَقَّتْ يُولِي رِسَالَةً مِنَ السَّيِّدَةِ فَاوَلِرَ كَانَ نَصُهَا مَا يَلِي :

« غَرَبَاتِي يُولِي :

إِنَّ السَّائِسَ الَّذِي يَعْمَلُ عِنْدِي قَدْ وَجَدَ لِنَفْسِهِ عَمَلًا آخَرَ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَلْتَحِقَ بِعَمَلِهِ الْجَدِيدِ اغْتِيَارًا مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ الْقَادِمِ ، كَمَا أَنَّ زَوْجَتَهُ أَلْفِي تَعْمَلُ عِنْدِي طَاهِيَةً سَوَفَ تَصْحَبُهُ .

فَهَلْ تَرْضَايَا ، أَلَيْتَ وَزَوْجَتُكَ ، فِي أَنْ تَلْتَحِقَا بِالْعَمَلِ عِنْدِي ، فَيَعْمَلَ جِيرِي سَائِسًا وَتَعَاوَنُهُ هَارِي فِي عَمَلِهِ ، وَتَعْمَلِي أَلَيْتَ طَاهِيَةً لِي ؟ وَسَوَفَ يُخَصِّصُ لَكُمْ بَيْتَ صَغِيرَ فَوَرٍ وَصَوْلَكُمْ . أَرْجُو أَنْ تُوافقي .

السَّخِيصَةُ
مَارِي فَاوَلِرَ :

ظَلَّ جِيرِي وَيُولِي يُناقِشَانِ هَذَا الْمَوْضُوعَ طَوَالَ الْيَوْمَيْنِ الْآتِيَيْنِ ، وَأَخِيرًا بَعَثَ جِيرِي بِرَدِّهِ عَلَى رِسَالَةِ السَّيِّدَةِ فَاوَلِرَ ، وَذَكَرَ فِي بِحَاثِهِ أَنَّهُ يُسْتَعْلَمُ أَنَّ يَعْمَلُ فِي عِلْمَيْهَا . وَرَغِمَ أَنِّي شَغُرْتُ بِالسَّعَادَةِ مِنْ أَجْلِهِمْ فَقَدْ أَحْزَنْتَنِي أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ تَغْيِيرٌ جَدِيدٌ فِي حَيَاتِي ، خُصُوصًا وَإِنِّي كُنْتُ أَحِبُّ جِيرِي وَيُولِي وَابْنَتَهُ وَابْنَتَهُ .

حَاوَلْتُ بَعْضَ سَالِفِي غَرَبَاتِ الْأَجْرَةِ مِنْ أَصْدِقَاءِ جِيرِي أَنْ يَأْخُذُونِي ، وَلَكِنَّهُ فَضَّلَ أَنْ يَجِدَ لِي مَكَانًا أَفْضَلَ لِأَسْتَقَرَّ بِهِ . وَكَانَ يَقُولُ إِنَّ جَاكَ قَدْ تَقَدَّعْتَ بِهِ أَلَسْنُ ، وَإِنَّ الْعَمَلَ فِي جَرِّ غَرَبَاتِ التَّرْكُوبِ عَمَلٌ شَائٍ .

قَبْلَ أَنْ يَتَوَخَّهَ جِيرِي وَأَسْرَتْهُ إِلَى مَقَرِّهِمُ الْجَدِيدِ بِاعْنِي إِلَى مُزَارِعِ يُقِيمُ عَلَى مَشَارِفِ لَنْدَنَ ، وَيَدْعَى تَرْغُودَ . وَكَانَ خَيْرًا فِي تَرْبِيَةِ الْجِيَادِ ، وَقَالَ لِجِيرِي : « سَأَخُذُ جَوَادَكَ بِاجِيرِي ، وَسَوْفَ أَتَدُمُّ لَهُ أَفْضَلَ الطَّعَامِ ، كَمَا سَأَطْلِقُهُ لِيُضَيِّعَ أَسَابِغَ فِي الْحَفْلِ قَبْلَ أَنْ أُجِدَّ لَهُ مَالِكًا جَدِيدًا عَلَى قَدْرِ مِنْ أَرْفَعِ وَالطَّيِّبَةِ . »

فَإَذْنَى السَّيِّدِ تَرْغُودَ لِيُعْودَ بِهِ . وَكَثُفًا فِي شَهْرِ أَيْرِيلَ ، وَكَانَ جِيرِي مَارًا لِمَرِيضًا ، بَعْدَ أَنْ قَضَى شَهْرِي يَنَابِرَ وَفِرَارٍ فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ . وَلَكِنَّهُ خَرَجَ وَمَعَهُ بُوْلِي وَابْنَتُهُ وَهُمْ يُرْتَوْنَ عَلَى لِأَجْرِ مَرَّةٍ ، وَقَالَ لِي جِيرِي :

« سَوْفَ نَعِيشُ حَيَاةً سَعِيدَةً بِإِجَاكَ الْخُجُوزَ . »

أَمَّا دَوْلِي فَقَالَتْ : « سَوْفَ أَذْكُرُكَ دَائِمًا . »

الفصل العشرون

بني الأخير

كَانَ السَّيِّدُ تَرْغُودَ عَطُوفًا عَلَى . وَقَضَيْتُ فِي مَرْزَعِيهِ أَيَّامًا سَعِيدَةً ، بَلْ شَعَرْتُ أَنِّي أَصْغَرُ سِنًا ، وَلَكِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي الْوَاقِعِ جَوَادًا صَغِيرَ السِّنِّ .

قَالَ السَّيِّدُ تَرْغُودَ لِلْسَّائِسِ : « يَجِبُ أَنْ تُجِدَّ لِحَاكَ نِيَّتًا مُنَاسِبًا ، وَكَأَنَّا بِهِ عَمَلٌ مُنَاسِبٌ لَيْسَ بِالْكَثِيرِ أَوْ الشَّاقِّ . »

قَالَ السَّائِسُ : « إِنَّ السَّيِّدَتَيْنِ الْمُسَيِّتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَسْكُنَانِ فِي الْمَرْزَعَةِ الْمُجَاوِرَةِ تَخْتَانِ عَنْ جَوَادٍ مُنَاسِبٍ لِيُقَوِّدَ عَرَّتَهُمَا ذَاتَ الْعَجَلَتَيْنِ . وَتُفَضِّلَانِ إِلَّا يَكُونَ الْجَوَادُ صَغِيرًا حَتَّى لَا يُسْرَعَ بِهِمَا . »

فَفَكَّرَ السَّيِّدُ تَرْغُودَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ : « إِذَا رَأَى لُهُمَا جَاكَ فَلْنَأْخُذْهُ ، فَهُوَ الْجَوَادُ الْمُنَاسِبُ لَهُمَا . وَلَكِنْ قَدْ يَتَأَبَّهُمَا الْخَوْفُ إِذَا مَا شَاهَدْنَا مَا يَقْوَاهِيهِ مِنْ آثَارِ خُرُوجٍ ، إِذَا فَإِنَّا سَتَأْخُذُهُ إِلَى هُنَاكَ غَدًا ، لِشَاهِدَاهُ . »

كَانَتِ السَّيِّدَتَانِ الْمُسَيِّتَانِ فِي نِيَّتِهِمَا فِي ذَلِكَ الزَّوْقِ ، أَمَّا السَّائِسُ فَلَمْ يَكُنْ بِالْمُنْزِلِ عِنْدَ وَصُولِنَا . وَفِي الْحَالِ خَطِيئٌ بِإِعْجَابِ السَّيِّدَةِ الْإِينِ ، فَقَالَتْ : « إِنَّهُ جَوَادٌ مُنْتَازٍ ، وَلَهُ وَجْهٌ رَفِيقٌ ، وَسَوْفَ تُجِئُهُ كَثِيرًا . »

قَالَ السَّيِّدُ تَرْغُودَ : « إِنَّهُ جَوَادٌ مُنْتَازٌ لِلْعَايَةِ ، وَلَكِنْ يَتَحَنَّنُ عَلَيَّ أَنْ أُرِيكَ مَا يَقُولِيهِ مِنْ آثَارِ الْخُرُوجِ لَنَحْثَ عَنْ مَقْصُودِهِ يَوْمًا . »

قَالَتْ شَقِيقَتُهَا الْكُبْرَى مُنْسَابِلَةً : « أَتَتَقَدَّرُ أَنَّهُ سَيَسْقُطُ مَرَّةً أُخْرَى ؟ »

أجابها : « لا أعتقد ذلك . إن هذه الآثار كثيرا ما تشاهد بها بالحياد ،
وعادة ما تكون بسبب الإهمال في قيادتها . وأعتقد أن جاك سقط لهذا
السبب أيضا . إنه عندي منذ عدة أسابيع ، ولا حظت خلالها أنه جواد
مُنشَر . فهل لك أن تجربيه بأسيدة بلونفيلد ؟ إذا رغبت في ذلك فأتبعني لي
سابقك علما ودعوه يجرب الجواد ليضعة أيام . »

سعدت السيدة العجوز بفكرته وقالت : « إنك تبيع لنا دائما أفضل
الحياد يا سيد فرغود ، فشكرا لك . إن هذا ما ستفعله في الواقع . »
في صباح اليوم التالي قدم شاب وسيم إلى مزرعة السيد فرغود ،



وقصصني ورأى ما يقوالمى من آثار مجروح وعلامات ثم سأل السيد
فرغود : « لماذا تؤد أن تبيع لنا هذا الجواد الذي سبق أن سقط على هذا
الخنو السي ؟ »

أجاب : « إنني لئن أبيعته قبل أن تجربته أنت والسيدتان . وأعتقد أنكم
ستعجبون به كثيرا ، ويمكنكم إعادته لي إن كنتم تحفظ بإعجابكم . »

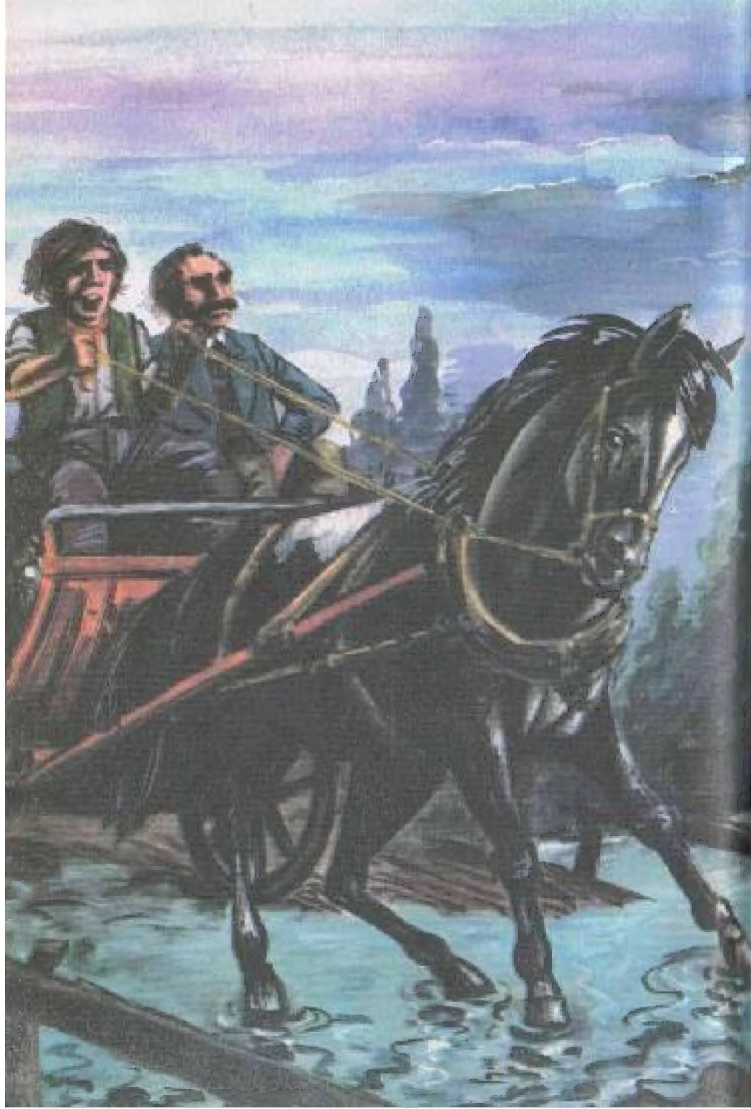
قادني السائس إلى المزرعة ، وفي المساء اعتنى بي . وبينما كان يغسغ
وجهي نظر إلى الفرة التي تتوسط جبينى وقال : « إن هذه الفرة أشبه بظلك
التي كانت في وجوه الجمال الأسود ، كما أن رأسه يفل رأس الجمال
الأسود أيضا . كم أود أن أعرف أين هذا الجواد الآن . »

واصل مسحة لجسمي ، وتوقف عند ظهري قائلا : « هنا أيضا علامة
بيضاء بظهره أشبه بظلك التي كانت بالجمال الأسود . ثم تراجع متطلعا
لشيء مرة أخرى وقال :

« بهذا الجواد غرة كظلك التي بالجمال الأسود ، وله ساق بيضاء اللون
مثلته ، وله أيضا علامة بظهره . إنه فعلا الجمال الأسود ، ليس هذا
صحيحا يا صديقي ؟ هل تعرفني ؟ إنني جو غرين الصغير . لقد كنت يوما
أن أظلك . » وأخذ يربط علي مرباط ومرباط .

تذكرت اللام الصغير ، الذي شب الآن وصار شابا . وكم أعتقدني
هذا ، فرفت أنني محاولا أن أجعله يعرف أننا صديقان . وسر بذلك
سرورا بالما وقال لي : « لقد قضيت أوقاتا عصيبة ، ولكننا ستحاول قلر
استطاعتنا أن نعيدك هنا . »

في صباح اليوم التالي تولى جو توظيف جسمي بالفرجون ، ووضع على



ظَهري مَلَقَمَ جَرَّ الْعَرَبَاتِ لِأَجْرِ عَرَبَةٍ ذَاتِ عَجَلَتَيْنِ . وَكَانَتْ عَرَبَةٌ جَمِيلَةً
لِلْغَايَةِ ، وَكَانَتْ السَّيِّدَةُ إِلَيْنِ هِيَ الَّتِي رَغِبْتُ فِي أَنْ تُجَرِّبَنِي ، وَصَحْبُهَا جُو
عَرَيْنِ . كَانَتْ سَالِقَةً مُتَمَارَةً وَخَطِيئَتِ بِإِعْجَابِهَا .

سَمِعْتُ جُو يُحْكِي لَهَا عَنِّي ، وَتَقُولُ إِنِّي كُنْتُ أَدْعِي الْجَمَالَ الْأَسْوَدَ
عِنْدَمَا كُنْتُ فِي خِطَائِرِ السَّيِّدِ غُورْدُونِ .

عِنْدَمَا غُذْنَا إِلَى الْمَرْزَعَةِ وَجَدْنَا السَّيِّدَةَ بِلُومُفِيلْدَ بِالْبَابِ ، وَقَالَتْ : «إِنَّهُ
جِصَّانٌ جَمِيلٌ . هَلْ هُوَ مُتَمَارٌ أَيْضًا ؟»

أَجَابَتْهَا السَّيِّدَةُ إِلَيْنِ : «نَعَمْ إِنَّهُ مُتَمَارٌ جَدًّا . وَلَكِنْ هَلْ تَعْرِفِينَ مَنْ هُوَ ؟
إِنَّ اسْمَهُ الْجَمَالَ الْأَسْوَدَ ، كَانَ يَوْمًا فِي مَرْزَعَةِ السَّيِّدِ غُورْدُونِ الَّذِي كَانَ
يُحِبُّهُ كَثِيرًا . وَتَقُولُ جُو إِنَّ هَذَا الْجَوَادَ قَدْ أُنْقَذَ حَيَاةَ زَوْجَةِ السَّيِّدِ غُورْدُونِ
وَكَادَ أَنْ يَقْتُلَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ إِنْقَاذِهَا . سَأَكْتُبُ بِحَظَابَا إِلَى زَوْجَةِ السَّيِّدِ
غُورْدُونِ لِأُيْلِعَهَا هَذَا . وَلَاشَكَّ أَنَّهَا سَتَسُرُّ عِنْدَمَا نَعْرِفُ أَنَّ الْجَمَالَ الْأَسْوَدَ
هُنَا .»

فِي الْيَوْمِ الْآتِي تَوَلَّيْتُ جَرَّ الْعَرَبَةِ ، بَيْنَمَا كَانَتِ السَّيِّدَةُ بِلُومُفِيلْدَ تَقُودُهَا ،
وَقَدْ خَطَيْتُ بِرُضَاهَا أَيْضًا ، نَلَّ وَ سَمِعْتُهَا تَقُولُ لِلْسَّيِّدَةِ إِلَيْنِ : «سَوْفَ
نَحْفِظُ بِهِذَا الْجَوَادَ وَنُسَعِدُهُ نَحْنُ اسْمُهُ الْقَدِيمُ - الْجَمَالَ الْأَسْوَدَ .»

وَهَذَا أَعِيشُ هُنَا سَعِيدًا مُتَدِّعًا تَقْرِيًا ، وَمَعِي جُو أَعَزُّ أُصْدِقَائِي ، ذَلِكَ
السَّائِسُ الْخَنُونُ ؛ كَمَا أَلْتِي أُنْتَمِعُ بِحُبِّ الْجَمِيعِ هُنَا . وَقَدْ قَالَتِ السَّيِّدَتَانِ
إِنَّهُمَا لَنْ تُفَكِّرَا فِي يَتِيمِي .

إِذَا فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا أُخْشَاهُ ، وَ سَأُوَصِّلُ عَمَلِي سَعِيدًا طَوَالَ حَيَاتِي هُنَا .

الحكايات اللطيفة

- ١ - حكايات من ألف ليلة وليلة
- ٢ - البطلة الصغيرة القبيحة وقصص أخرى
- ٣ - الجواد الأسود الشجاع
- ٤ - حكايات من تاريخ العرب
- ٥ - الصندوق العجيب وقصص أخرى
- ٦ - الخذاء السحري وقصص أخرى
- ٧ - أليس في بلاد العجائب
- ٨ - حورية النار وقصص أخرى
- ٩ - أولاد الغابة



مَكْتَبَةُ لِبْنَان
سَاحَةُ رِيَّاضِ الصَّلَح - بَكْرُوت

رقم مرجع كميوترا 01 C 198 603